روايات الهلال للأولاد والبنات

سلسلة تاريخ مصر

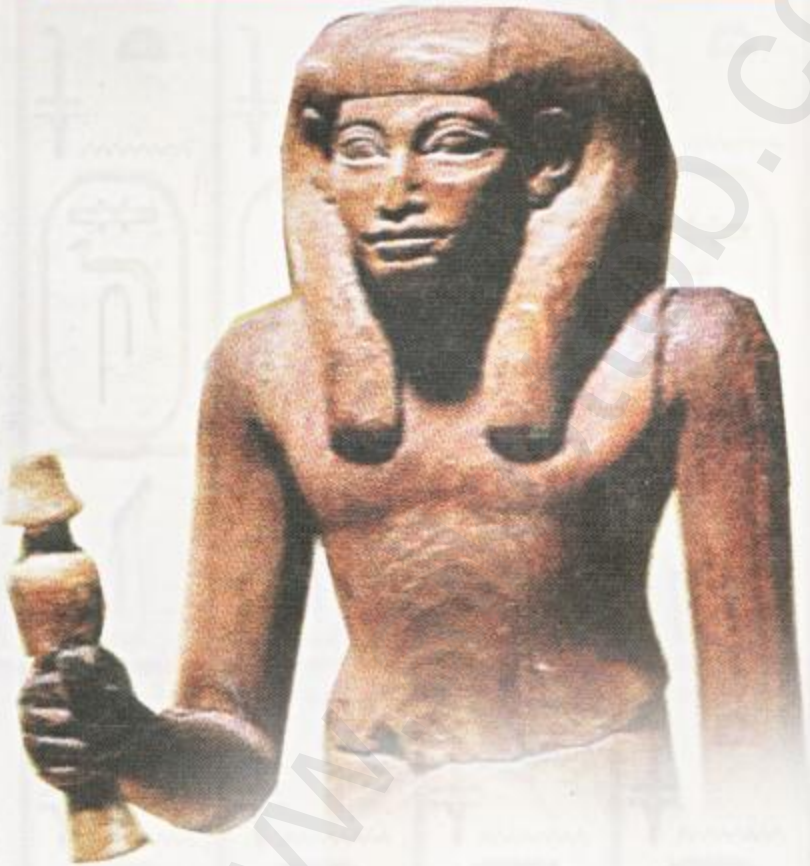

سنوحي.. الهارب النبيل

Amly

علي ماهر عيد

www.alkottob.com

قبل أن تقرأ

التاريخ لم ولن يكون مجرد حواديت نتسلى بها قبل النوم .. ولكنه المؤشر الأهم الذى يحكم على مدى ثراء أو إفلاس الأمم والشعوب .. فالأمة التى تمتلك التاريخ والحضارة هى الأكثر ثراء وعراقة ولذلك تصبح مثل هذه الأمم مستهدفة ممن لا يملكون التاريخ والعراقة .. وربما يفسر لنا هذا تلك الحملة الشرسة ضد بؤرة التاريخ والحضارة والمتمثلة فى العالم العربى .. تلك الحملة التى تتلخص فى (قائمة) من المطالب تبدأ بتجديد الخطاب الدينى وتنتهى - ربما - بتجديد الخريطة الوراثية لشعوب هذه المنطقة .. ! ومن المؤسف أن البعض منا إما عن قصد أو عدم معرفة يشارك فى هذه الحملة الشرسة وذلك بتهميش أو إلغاء التاريخ والجغرافيا فى التعليم والإعلام مما يمثل أكبر الخطر على (الذاكرة الوطنية) لدى الأجيال الجديدة من الأطفال والشباب .. ولكى نتصدى لمحاولات (تجريف الوعى الوطنى) وإنتشار (الأمية الوطنية) كانت فكرتنا الجديدة فى الجمع ما بين التاريخ والأدب فى (سلسلة تاريخ مصر) .. تلك السلسلة التى يشارك فى كتابتها مجموعة من ألمع أدباء مصر - وتأتى كأول محاولة - ربما فى العالم كله لأن تكتب أمة تاريخها بالأدب .. وتهدف إلى الحفاظ على التاريخ وتقديم النموذج الذى يحتذى، والشحن بالتحدى والإرادة لصناعة مستقبل لا يخجل منه التاريخ .

رئيس التحرير

www.alkottob.com

المقدمة

المثقف والسلطة..

منذ سنوات عديدة ونحن نبحث عن كيف تكون العلاقة بين المثقف والسلطة.. فالبعض يرى أنهما مثل طرفى (المقص) قد يرتبطان ، ولكن كلاً منهما يسير فى إتجاه.. والبعض يرى ضرورة وجود المثقف إلى جوار السلطة ليأخذ بيدها ويتحول إلى (المصباح) الذى ينير لها الطريق.. ورغم الاجتهادات الكثيرة التى شملت هذه القضية إلا أن الوضع الأمثل لهذه العلاقة يكمن فى وجود المثقف علي (يسار) السلطة.. واليسار هنا لا يعبر عن فكر سياسى أو (إيدلوجى) بقدر ما يعبر عن ضرورة تحلى المثقف بكثير من روح المعارضة للسلطة لأنه يمتلك القدرة على استشراف المستقبل ووضع الرؤى والأفكار التى قد تتعارض مع النظرة الواقعية التى تتعامل بها السلطة مع كل القضايا

التى تعرض عليها.. والأهم أن وجود المثقف على يسار السلطة أو بعيداً عنها بمسافة تجعله فى حالة من الأمن والأمان تحميه من بطش السلطة.. لأن هذه السلطة- أى سلطة- إذا بطشت فالضحية الأولى هى المثقف لأنه عادة صاحب الصوت الأعلى والرؤى المعارضة.. وقد يحدث أن يتحالف المثقف مع السلطة أو يعمل موظفا للعلاقات العامة لديها وفى هذه الحالة يخسر كل الأطراف حتى لو حققت مكاسب وقتية.. فالمثقف يخسر استقلاليته ودوره والسلطة تخسر أجراس الإنذار التى ترشدها والمجتمع يخسر ضميره الحى الذى يدافع عن قضاياه..

وقد يتصور البعض أن قضية العلاقة بين المثقف والسلطة من القضايا التى ظهرت على ساحة (العصر الحديث)... وهذا تصور خاطىء لأنها موجودة منذ أكثر من أربعة آلاف عام وتحديداً فى العلاقة التى ربطت (سنوحى) بملوك الأسرة الفرعونية الثانية عشر (أمنمحات الأول - سنوسرت).. حيث كان سنوحى شاعراً وأديبا

www.alkottob.com

وقائداً عسكرياً ولذلك احتل مكانة مرموقة إلى جوار الملك أمنمحات الأول لدرجة أن بعض علماء التاريخ يؤكدون على أنه كان الوزير الأول لأمنمحات الأول وذلك لصفاته التى ذكرناها إضافة إلى حكمته ومواهبه المتعددة..

وبقدرة ما تحمله قصة سنوحى من وقائع تاريخية إلا أنها تعد من روائع الأدب المصري القديم وقد ترجمها علماء الآثار إلي كثير من اللغات ومنها (الألمانية ، والإنجليزية، والفرنسية) وقد اكتشف العلماء أن هذه القصة قد تم توثيقها فى خمس وثائق من العصور الوسطى - منها وثيقتان من طيبة.. كما يوجد لها ٢٠ نسخة من الدولة الحديثة بعضها تدريبات على الكتابة.. وقد حملت قصة سنوحى تنويعات نصية أقدمها بردية برلين ٣٠٢٢ ق.م وتنتمى إلى النصف الثانى من الأسرة الثانية عشر وتتكون هذه البردية من ٥٧٠سطراً من الكتابة وتشتمل القصة على وظائف سنوحى كموظف فى بلاط الملك وحاكم لأراضى جلالته فى آسيا وتؤكد البردية على قرب سنوحى

من الملك وتصفه بأنه (من يثق به جلالته ويحبه وتابعه) .

ويبدأ السرد التاريخى بأخبار إرسال أمنمحات الأول لولى عهده (سنوسرت) على رأس جيش لصد الليبيين فأسر الكثيرين واستولى على أعداد كبيرة من القطعان.. وأثناء وجود سنوسرت على رأس الجيش تحدث مؤامرة لاغتيال الملك أمنمحات الأول ويتم الزج باسم سنوحى فى هذه المؤامرة بصفته شريك وضالع فى قتل الملك وذلك على خلفية أحداث كثيرة.. ورغم براءة سنوحى من كل التهم التى نسبت إليه إلا أنه فعل كما يفعل المثقفون فى كل عصر وزمان حيث أثر الهرب وعدم المواجهة.. وعاد سنوسرت سريعا إلى العاصمة وسيطر على الموقف .. وعندما علم بقرار سنوحى تأكدت لديه الإتهامات وأمر بالقبض عليه.. ولكن سنوحى فر إلى الشمال ثم إلى الشرق مع إتجاه البحر المتوسط حتى وصل الى العريش ثم عبرها إلى أرض فلسطين وأمام عند أحد شيوخ البدو فى بلاد (رتنو) فى فلسطين..

www.alkottob.com

أعجب الشيخ البدوى واسمه (آمون إنش) بسنوحى الفارس والعالم والشاعر فأغراه بالإقامة لديه وزوجه ابنته وأعطاه أرضا.. ورغم هذا الأمن الذى عاش فيه سنوحى إلا أن مشاعره كانت دائما فى حالة اهتياج وتشوق إلى مصر وأهلها فكتب الكثير من الأشعار والأغانى الدينية والدرامية تعبر عن أشواقه وحنينه ويصف فيها الصعاب التى واجهته كما يصف فيها أرض فلسطين.. وراح سنوحى يرسل بهذه الأشعار إلى مصر لعلها تكشف الحقيقة وتبرىء ساحته أمام الملك سنوسرت.. وكان للملك أخ غير شقيق وكان صديقا لسنوحى فشرح للملك كل الحقيقة وكشف خبايا المؤامرة فعفى الملك عن سنوحى الشاعر والفارس الذى عاد إلى أرض الوطن بعد رحلة شاقة من الغربة والنفى..

وتعد قصة سنوحى كما ذكرنا من روائع أدب الدولة الوسطى والأهم أنها تعد أفضل نموذج للغة المصرية فى هذه الدولة... وقد تحولت هذه القصة إلى وثيقة بحثية مهمة لدى علماء المصريات وأهمهم (آلن جاردنر - رولاندكوتش - باركنسون

- جون - بارنز - جون بينز) وذلك لما تحويه هذه القصة من الروح المصرية.. وسمو القيم فى الحضارة الفرعونية القديمة وأهمها عشق الوطن وتميز الثقافة المصرية القديمة.. كما تلقى هذه القصة الضوء على أوضاع الحدود الشرقية والشمالية القريبة لمصر فى ذلك الوقت..

وقد تحولت قصة سنوحى إلى ملحمة شعبية والتى كان يرددها المنشدون والمدّاحون لأجيال طويلة كما نفعل الآن مع قصص أبوزيد الهلالى - الزير سالم - عنترة بن شداد.

ومازالت قصة سنوحى حية ومتجددة .. تقدم لنا الكثير من الدروس والعبر التى يأتى فى مقدمتها أن على المثقف أن يقف على مسافة آمنة من السلطة ليربح نفسه وليربح المجتمع.. ولتربح السلطة أيضا.

محمد الشافعى

www.alkottob.com

شخصيات الرواية

١ – سنوحى المصرى: قائد مصرى – شاب
٢ – تيكاهيت : حبيبة سنوحى
٣ – آزيت : زوجة الملك امنمحات الثانية
٤ – بنتاحور : ابن آذيت، وصديق سنوحى
٥ – بازى : قائد مصرى ويحب تيكاهيت
٦ – الملك امنمحات الأول : مؤسس الأسرة الثانية عشر
٧ – الملك سنوسرت الأول : ابن الملك امنمحات وولى العهد.
٨ – نخعت : آمين القصر الملكى ووالد بازى
٩ – عمونتشى : شيخ قبيلة عربى
١٠ – سوترا : فتاة عربية ابنة عمو نتشى
١١ – سيبيك : طبيب القصر الملكى ووالد تيكاهيت

١ - أفراح ليلة النقطة

ذهب سنوحى إلى شاطىء النيل للمشاركة في احتفالات يوم النقطة (الفيضان) .

لسوء حظه وجد أن الاحتفالات قد بدأت، وأن المركب الفرعونية المذهبة أصبحت فى عرض البحر، والملك أمنمحات الأول وولى عهده الأمير سنوسرت يقفان فى مقدمة المركب، وخلفهما بقليل يقف باقى الأمراء ثم يقف الكهنة بملابسهم البيضاء ومعهم قماقم البخور، وتتبعهم مراكب كثيرة ممتلئة بالأهالى رجالاً ونساءً وأطفالاً يغنون ويرقصون ويعبثون .

ألحّ أحد الصيادين على سنوحى أن يركب معه ويشاركه الاحتفال لكن سنوحى شكره، وقدّم له قنينة عطر وانصرف ، فهو يعلم أن الاحتفال سيستمر طوال اليوم، وبالليل سيضيئون مجرى النهر بالمشاعل، ولن يعودوا إلى بيوتهم إلا فى صبيحة اليوم التالى، وذلك تعبيرا عن شكرهم للإله «حابى» (١) .

فهكذا هم المصريون يقومون بالأعمال العظيمة مثل الأهرامات المعجزة، والمعابد الشامخة بعمدانها الرخامية، والقصور العامرة بحدائقها الزاهرة، والطرق الواسعة الممهدة، وبناء السفن الكبيرة لحمل البضائع والجنود، والقلاع القوية والحصون المنيعة، والمقابر الرخامية، والتماثيل الجرانيتية وأيضا لاينسون نصيبهم من اللهو والاستمتاع بالحياة .

قرر سنوحى أن يذهب للقاء حبيبة قلبه تيكاهيت .

★★★

(١) النيل.

www.alkottob.com

تخلف بازى متعمدا عن الذهاب للاحتفال بيوم فيضان النيل ليسعد نظره برؤية تيكاهيت الفاتنة التى أسرت قلبه، انتظر بازى قريبا من بيتها حتى رآها مضفرة شعرها، وتسير متبخترة فى رداء مغزول من الكتان، مكون من قطعتين ومزخرف بنقوش جميلة .

تتبعها بازى ليرى مقصدها إلى أن وصلت إلى شجرة جميز متطرفة، جلست تحتها .

اختبأ بازى فى دغل من نبات البردى قريبا من شجرة الجميز . بعد قليل ، رآها تقف متهللة ووجهها كله يبتسم .

دقق النظر فرأى غريمه سنوحى يبادلها الابتسام .

★★★

في ظلال شجرة الجميز جلس الحبيبان سنوحي وتيكاهيت يتناجيان ، ويتذكران أيام الماضى المحملة بعبق ذكريات الود وتفتح القلوب العذراء لاستقبال رحيق الحب الساحر .

سألته تيكاهيت ضاحكة : لماذا لم تذهب للاحتفال ؟

– اتفقت مع الأميرين سنوسرت وبنتاحور أن أصاحبهما في المركب الفرعونية المذهبة ولكن ..

صمت سنوحي قليلا، ونظر إلى تيكاهيت نظرات دافئة تفيض بالحب والشوق .

سألت تيكاهيت متعجلة : لكن ماذا ؟!

أجابها سنوحي بهمس حنون : قلبي أراد صحبة جميلة .

طربت تيكاهيت لكلام سنوحى، وأرادت الاستزادة .

فقالت بدلال : ألا تخاف أن يراك أبى ؟!

– عمى الطبيب سيبيك، ألم يرافق الملك فى الاحتفال ؟!

– وهل يستطيع ؟! إنه يرافقه مثل ظله لأن الملك يعانى من أمراض الشيخوخة، ولايرغب فى الذهاب إلى

الأفق والإلتحام بالشمس إلا عندما يطمئن على سلامة شعبه (١) .

– كم أنا سعيد بك، وأتعجل اليوم الذى أطلبك فيه من عمى لأنعم برجاحة عقلك، وعطف قلبك .

صمتت تيكاهيت واكتسى وجهها بالجدية، وأطل من عينيها السؤال قبل أن تنطقه : متى تطلبنى من أبى يا سنوحى ؟

– بعد العودة من تأديب الليبيين الذين يعثون فسادا فى غرب الدلتا .

– أنا خائفة يا سنوحى .

– من ماذا يا حبيبة قلبى ؟!

اعتدلت تيكاهيت، وقالت بجدية تنذر بالخطورة :

– أنت تعرف السيد نخعت ..

– طبعا فهو كبير أمناء القصر ، إنه رجل طاعن فى العمر ومتزوج وله إبنا يماثلنى عمرا .

ضحكت تيكاهيت وقالت : هل تغير من نخعت ؟!

– طبعا .

– ليس هو يا حبيبى ، أنا أتحدث عن إبنه بازى، انقبض قلب سنوحى، وسأل بلهفة : ماذا به بازى هذا ؟

– طلبني كبير الأمناء نخعت من أبى لإبنه بازى .

– هل كان الكلام جديا ؟

– هذه مواضيع لامجال للهزل فيها .

– بماذا أجابه والدك ؟

– طلب منه الانتظار لحين أخذ رأيى .

– بماذا أجبتيه ؟

(١) تعبيرا عن الموت.

www.alkottob.com

– أجبت من ؟

– والدك .

ابتسمت تيكاهيت وقالت : قلت له .. إنى لا أفكر في الزواج حاليا، لكن جوابى لم يقنعه .

– كيف عرفت .

– قال لى إن الضابط بازى سيذهب فى حملة لتأديب الليبيين وعندما يعود نجلسين معه وتقررين .

سألها سنوحى بغضب : ماذا حدث بعد ذلك ؟

– هذا الحديث دار بالأمس فقط .

صمت سنوحى طويلا ، والأفكار تتصارع فى رأسه، وسهام الظنون تدمى قلبه .

قال كأنه يطمئن نفسه : عمى سيبيك كان صديقا لأبى بيرين (الذى التحق بمركب ايزيس) (١) قبل مرور موسمين حصاد .

ثم التفت سنوحي إلي تيكاهيت، وكأنه يقنعها قائلا :

– نحن نشأنا معا يا تيكاهيت، وعمى سيبيك لن يرفض لى طلبا ، وسأقابله بعد عودته من الاحتفال، وأحدثه فى أمرنا لتكونى لى أختا باقى الحياة (٢) .

وعبثت يد سنوحى بالقلادة الثمينة التى تحيط بعنقه قائلا ، وكأنه يزيح غيوم الشك بعيدا عنه .

– لاتنسى يا حبيبتى أنى أخذت قلادة الشجاعة ، وألبسنى الملك الإله امنمحات القلادة بيديه الكريمتين، وهذا شرف وامتياز لايناله إلا الضابط الشجاع ، فما هى ميزة «بازى» عنى ؟

(١) تعبيرا فى الموت.

(٢) كانوا يدعون الزوجة بالأخت الدائمة لهم فى طريق الحياة .

www.alkottob.com

ثم امتلأ سنوحى بيقين راسخ أنه سيتزوج من تيكاهيت فقال لها : أقسم بأمون رع سيد الآلهة .. أنك يا تيكاهيت ستكونى رفيقة حياتى حتى التحق بمركب إيزيس .

★★★

قال بازى وهو فى مخبأه : وأنا أقسم بأمون رع أن تيكاهيت ستكون زوجتى، وسألحق سنوحى بمركب ايزيس فى وقت قريب.

٢ - بازى ووالده نخعت

في ظهيرة اليوم التالي.

ابتسمت الأم لرؤية ابنها الحبيب والوحيد بازى .

قالت له ، وقد ملأت رائحة الطعام فناء البيت : لقد أعددت لك أوزة سمينة يا بازى ، ستأكلها كلها ، وتترك لي ولأبيك الجناحين.

لاحظت الأم أن بازي يجلس مهموما، ولم يطرب لحديثها كعادته ، فسألته : ماذا بك يا بني ؟

– لاشيء .

صوت دقات نحاسية، وأغنيات شعبية اقتحمت الآذان.

ابتسمت الأم وقالت : الشحاذون والعميان جذبتهم رائحة الأوزة، ويطالبون بنصيبهم.

قال بازي غاضبا : اعطيها لهم كلها .

– لن يشاركك أحد يا حبيبي.

– اعطيهم ما يريدون .

– سأعطيهم الجناحين والرأس، وأطلب منهم أن يدعوا ويغنوا ويرقصوا لك .

– لا أريد الغناء أو الرقص أو أى شيء .

أدركت الأم أن هم ابنها كبير، فسارعت بإعطاء السائلينَ ما يطلبون، وعادت إلى ابنها ملهوفة .

قالت له بلوعة : ماذا يشغلك يا بنى ؟

– قلت لك لاشيء .

– هل أنت خائف من الذهاب مع الحملة ؟

انتفض بازى واقفا ، وتدافعت الكلمات متلاحقة .

– كيف تقولين هذا ؟! هل تتهمينني بالجبن ؟!

ارتمت الأم فى حضنه، وربتت على كتفه، وقالت بحنان : أنا هكذا منحوسة، لا أجيد الكلام ، فهّون عليك ، وقص علىّ ما يشغلك ..، وبحق الآلهة سأنفذ طلبك .

عاد بازى للجلوس على الكرسى الخاص به ، وقال بضعف : تيكاهيت .

– ماذا بها ابنة الطبيب سيبيك ، هل أغضبتك قبل أن تكون أختاً لك ؟

– إنها تحب رجلا آخر .

ضربت الأم بيدها على صدرها، وقالت متعجبة ومستنكرة : هل هناك رجل آخر يماثلك جمالا وطولا وشرفا ونسبا، ألا تعلم تيكاهيت أنك ضابط فى جيش مصر ، والأهم أن أباك هو أمين القصر الملكى .

فى هذه اللحظة ؟ دخل الأب نخعت ، وهو قصير ممتلىء قليلا، وعيناه تلمعان بذكاء ماكر .

تشمم نخعت رائحة الطعام مختلطة برائحة البخور وتساءل مبتسما : هل أعددت الأوزة لبازى ؟ أسرعت الأم بالحديث قائلة لزوجها :

– ماذا فعلت يا أخى مع الطبيب سيبيك؟

– ماذا به الطبيب سيبيك؟!

– هل حدثته عن موضوع ابنته تيكاهيت ؟

رأى الأب فى وجه ابنه آثار خيبة الأمل فقال :

– سيبيك رجل بسيط لايطمح فى مصاهرتي، وابنته لن تجد زوجاً أفضل من ابننا الضابط بازى،

ثم صمت قليلا ليتأكد من وصول المعنى الخفى فى كلامه وابتسم بثقة من يمتلك القرار، وقال :

– لا أدرى ماذا يشغل بالكما؟

قال بازى بصوت مهزوم؟ وهو يؤكد حقيقة مختلفة.

–إن تيكاهيت تحب الضابط سنوحى.

جلس الأب نخعت إلى المائدة وقال لزوجته.

– احضرى لنا الأوزة لنأكل.

ونادى ابنه : تعال يا بازى للطعام .

جلس بازى إلى المائدة ، ووجهه مكفهر .

قال الأب مبتسما : بعد الطعام نشرب الجعة ونفكر .

مازال وجه بازى مكفهرا.

ابتسم الأب مطمئنا ابنه، وقال :

– إهدأ بالا يا ابنى، ولن تتزوج إلا بمن تحب .

قال بازى منفعلا : سأقتل سنوحى هذا الذى يزاحمنى فى كل شيء.

وصمت كأنه يقاوم شيئا ، ثم أكمل :

– ألا يكفى أنه أخذ نوط الشجاعة بدلا منى ؟!

ضحك الأب ساخرا من اندفاع ابنه، وقال له :

– وظيفتك كضابط جعلتك تظن أن حل المشاكل يكون بالقوة.

www.alkottob.com

وهز الأب رأسه كأنه ينفى الكلام، ثم أكمل :

– لا يا حضرة الضابط، إن العقل خير من السيف وأفضل فى حل المشاكل، والأمر يحتاج للتدبير ..

ثم مؤكدا لكلامه أكمل ، ووالدك خير من يدبر .

وإلا ما استطعت الاستمرار فى وظيفة أمين القصر الملكى .

٣ - الأمير بنتاحور

فرغ الحلاق من قص شعر سنوحى، وأخذ بطة سمينة ثمنا لذلك.

طلب سنوحى من خادمه هوف أن يسخن له ماء فى الدست الكبير على الفرن الفخارى المستطيل الموجود فى الحجرة الخلفية .

بعد أن فرغ سنوحى من الاستحمام .

طيَّب نفسه بالعطور الفوَّاحة ، ووضع قلادة الشجاعة حول رقبته وزَّين أصابعه بخواتم من الزمرد، كما زيَّن ذراعيه بأساور ذهبية ، وليس الصندل ذا السيور .

سأله الخادم هوف : هل أنت ذاهب لمقابلة الملك الإله امنمحات فى هذا الوقت المبكر ؟!

ابتسم سنوحى وقال : أنا ذاهب إلى المعبد لطلب مباركة الإلة آمون، وقد أحظى بالدخول إلى قدس الأقداس.

انبهر هوف، وتساءل غير مصدق.

– قدس الأقداس الخاص بالإله آمون ؟!!

– نعم .

– هذا مخصص للملك فقط .

ابتسم سنوحى : وأحيانا يكون مسموحا لولى العهد الأمير سنوسرت وقد أذهب معه إذا قابلته هناك .

الكاتب الاديب سنوحى الأسرة الثانية عشر ١٨٠٠ ق . م

www.alkottob.com

فرك هوف يديه ، وأحنى قامته عدة مرات ، ثم سأل برجاء .

– هل تصحبنى معك يا سيدى ؟

– غير مسموح للعامة بالذهاب إلى أبعد من الفناء المكشوف من المعبد .

قال هوف متحسرا : أعلم ذلك يا سيدى ، فليس لمثلى أن يصل حتى إلى بهو الأعمدة المسقوف المخصص للطبقة النبيلة مثلك، لكنى كنت أرجو ..

– لا ترجو شيئا فهذه تقاليد راسخة لايستطيع أحد تغييرها .

★★★

اشترى هوف تمثالا خشبيا للإله من أمام المعبد .

تزاحم بائعو كتاب الموتى حول سنوحى يرجون منه الشراء .

وضع هوف التمثال أمام الكهنة الموجودين فى الفناء المكشوف لمباركة العامة وتلقى نذورهم .

أما سنوحى فإنه سار مخترقا الزحام إلى بهو الأعمدة، حيث تصاعدت رائحة البخور والعطور فى أرجاء البهو، وحيا الكهنة المرتدين المسوح البيضاء الناصعة، وأجزل العطاء للخدم الذين يحملون قماقم البخور .

وقف أمام التمثال النصفى للإله آمون يتلو الأدعية والتعاويذ مع كثير من الطبقة العليا والأثرياء .

تبادل الابتسام مع الأمير بنتاحور عندما رآه، وتقدم نحوه مصافحا لأن الأمير بنتاحور صديقه الحميم ، فالبرغم من إنه ابن الملك امنمحات فهو حريص على معاملة قواد الجيش بود عميق، ولطف بالغ، ولاينسى أن سنوحى كاد يضحى بحياته لإنقاذه فى إحدى المعارك لذلك سعى لدى والده الملك فى أن يمنح سنوحى قلادة الشجاعة .

كما ازدادت صداقته لسنوحى لما لمسه من صفاء نفسه، وسمو أخلاقه، وعلو همته .

أما سنوحى فإنه حرص فى معاملته لبنتاحور أن يجل قدره ويظهر احترامه مما أسعد بنتاحور الذى سأل سنوحى:

– هل لك أى أمنية قبل أن ننطلق غدا لمحاربة الليبيين ؟

– لاشىء بعد أن التمست البركة والتوفيق من الإله آمون.

قرأ بنتاحور فى عين سنوحى أمنية غامضة .

فقال له : أنت لك أمنية أخرى. فماهى ؟

نظر سنوحى إلى الأمير بنتاحور معجبا بقدرته المذهلة فى قراءة النفوس .

وقال مترددا : كنت أود زيارة قدس الأقداس .

بلع ريقه وقال مبررا رغبته ، لأودعه أمنية غالية .

– ماهى هذه الأمنية ؟

صمت سنوحى طويلا .

ابتسم بنتاحور قائلا : هى أمنية خاصة بفتاة تحبها.

ذهل سنوحى من هذا الأمير الذكى الذى يقرأ الأسرار الكامنة خلف الصدور .

قال مستسلماً : نعم .

– ما اسم الفاتنة التى أسرت قلب القائد الشجاع ؟

– تيكاهيت ابنة طبيب القصر سيبيك .

– إنى آراه قادما نحونا .

التفت سنوحى للخلف، فرأى الطبيب سيبيك يتقدم نحوهما.

انحنى الطبيب للأمير بنتاحور، وقدم فروض الولاء والطاعة له.

وضع بنتاحور يده على كتف سيبيك.

www.alkottob.com

قائلا : بصوت دافىء : لن تجد خيرا من سنوحى أخا لابنتك فى هذه الحياة .

ارتبك سيبيك، وتلعثم ، وهو يردد كلمات غير مفهومة بادره الأمير بنتاحور قائلا :

– اعتبر هذا رجاء منى .

عليك أن تحققه .

انحنى سيبيك عدة مرات .

وهو يقول : هذا شرف وسعادة لى فى أن يكون القائد سنوحى أخا لابنتى لكن ..

– لكن ماذا ؟!

– القائد بازى سبقه فى الطلب.

تقلص قلب سنوحى، فانسحبت الدماء من وجهه

عينا الأمير اللماحة رصدت انفعالات سنوحى

سأل الأمير الطبيب : ماذا كان رأى ابنتك ؟

– لم تجبنى حتى الآن .

قال الأمير بقوة المنتصر : اعرض عليها سنوحى .

وإذا وافقت سأقوم أنا بكافة النفقات ، وأقيم احتفالا خاصا لأخى سنوحى وابنتك .

اندفع سنوحى قائلا : أنا قادر على نفقاتها يا مولاى .

نظر الأمير إليه طويلا ، فخجل سنوحى من اندفاعه .

قال بنتاحور بود : دعنى أعبر عن اعترافى بفضلك يا سنوحى ، والآن سأتركك لأعد نفسى للحملة.

انصرف بنتاحور ، وترك سنوحى سابحا فى أجواء صافية يتنفس فيها نسيما معطرا بدفء القلوب.

وضع سيبيك يده على كتف سنوحى، وهمس له :

اليوم يوم سعدك يا سنوحى.

معنى ذلك أنك موافق على زواجى من تيكاهيت

انحنى سيبيك رأسه كأنه يعتذر .

ثم قال : الأمر بيدها كما قال الأمير بنتاحور ؟

لكن السعد فى أمر آخر .

ماهو ؟

التفت سيبيك حوله، ثم همس :

– تعال إلى حديقة المعبد.

المعبد من الداخل يمثل مدينة متكاملة، لوجود عدد من قاعات التدريس الأولى، وقاعات لدراسة الكهنوت، ثم بيت الحياة لدراسة علوم الطب، وبيت الموتى الخاص بالتنحيط وحفظ الأجساد.

والمدينة ممتلئة بالموظفين والعاملين والجنود والكهنة والخدم والطلبة .

فى ظل شجرة جلس سيبيك مع سنوحى .

سيبيك مرتبك ومرتجف لأن السر المحمل به أكبر من قدراته العصبية .

التفت سيبيك فى جميع الاتجاهات، واطمأن على بعدهما عن الأعين والآذان .

بالغ سيبيك فى همسه وهو يقول : الأميرة آزيت .. أم بنتاحور تريد رؤيتك اليوم فى جناحها .

سأل سنوحى متعجبا : زوجة الملك ؟!

– نعم .. زوجته الثانية الأميرة آزيت .

– لماذا تريدنى ؟!

– لم تقل شيئا .

– متى تريدنى ؟

www.alkottob.com

– الآن وفوراً .

اضطرب قلب سنوحى، وانقبض صدره .

قال سنوحى محاولا استدراج سيبيك : لابد أنه أمر مهم .

– طبعا ، وإلا لماذا تطلبك زوجة الملك الثانية ؟!

★★★

٤ - المؤامرة

حرص الملك امنمحات الأول على بناء قصر أسطورى فى عاصمة ملكه مدينة اللشت القريبة من الفيوم.

رأى سنوحى مسلتين شاهقتين أمام القصر، وكثير من الحراس بزيهم المميز وحرابهم الطويلة يقفون أمام بوابة ضخمة .

طالعه نخعت أمين القصر بوجه متجهم، سأله عن رغبته وسحب الشك تملأ صدره .

أمر نخعت الحراس بفتح الباب لسنوحى، وعيناه ترسلان شررا حاقدا .

لابد أن هناك سرا هائلا يجمع بين سنوحى وزوجة الملك الثانية الأميرة آزيت .

الخادمة شيث المقربة من الأميرة آزيت ، والتي تعمل جاسوسة لحسابه ستعرف السر وتخبره .

هدأ نخعت قليلا عندما وصل تفكيره إلى شط الخادمة شيث .

★★★

كان القصر الفرعونى مكونا من أجنحة كثيرة، لكل جناح حديقته الخاصة، ورأى سنوحى «فى وسط الأجنحة» البناء الرئيسى مكونا من طابقين ، وهو الجناح المخصص لزوجات الملك، كما

رأى من بعيد بناءً مميزا من طابق واحد تحيط به حديقة متسعة، فأدرك أنه الجناح الخاص بفرعون .

قادة نخعت إلى جناح متطرف، وتركه عند الباب حسب أوامر الخادمة شيث التى قادته إلى حجرة فاخرة لها ستارة من نسيج فاخر موشى بأسلاك من الذهب والفضة .

استأذنت شيث قليلا ثم عادت ، وأزاحت الستارة حتى دخل سنوحى ، ثم أعادت الستارة إلى وضعها .

آزيت امرأة شامخة مازالت تحتفظ برشاقتها واعتدال قوامها بالرغم من كهولتها .

حياها سنوحى، وآحنى قامته مرتين احتراما لزوجة الملك .

رحبت به بصوت هامس قوى، طلبت منه أن يقترب منها ؟ ويرفع رأسه ، ويرهف سمعه .

نظراتها حادة نافذة أجبرته على أن ينظر بعيدا .

همس سنوحى لنفسه «ماذا تريد هذه المرأة البومة ؟!» .

قالت آزيت بصوت واضح النبرات : أنت صديق للأمير بنتاحور كما أعرف .

– نعم يا مليكتى .

– أنا زوجة الملك ولست الملكة ، ولهذا السبب يفضلون سنوسرت عن ابنى بنتاحور .. وهذا ظلم .

أدرك سنوحى أنه دخل سردابا مظلما .. فصمت منتظرا .

نظرات المرأة تكاد تتجسد إلى سهام نارية مصوبة نحوه .

سألته : لماذا أنت صامت ؟!

– ماذا أقول يا مليكتى ؟!

– أنت تحب الأمير بنتاحور .

– من كل قلبى .

www.alkottob.com

– ومحب له الخير .
– وحق الإله آمون أحب له كل الخير .
– هل تعجبك صفاته .
– كل الإعجاب .
– ماذا يعجبك بالضبط ؟
– الحزم ، القوم ، حبه لقواد الجيش ، إنه أمير قوي محبوب.
اقتربت آزيت كثيرا منه .
همست : إنه يحبك يا سنوحى ويذكرك بالخير كثيرا .
– وأنا أحبه يا أميرتى .
– الأمير بنتاحور لو أصبح ملكا سيكون لك أنت شأن كبير.
ثم ابتسمت وأكملت : فقد تصبح وزيره الأول أو قائدا للجيش فما رأيك ؟
– في ماذا يا أميرتى ؟
صمتت الأميرة قليلا ، وأرسلت شواظا من نظراتها النارية إليه لتضعف كل مقاومة لديه .
ثم قالت : كنت أظنك أكثر ذكاء يا سنوحي .
– عفوا يا مليكتي لم أفهم شيئا .
– أسألك عن رأيك فى أن يكون بنتاحور ملكا ؟!
«السرداب المظلم الذى وضعته فيه هذه المرأة ممتلىء بالثعابين» .
– لا قيمة لرأيى يا أميرتى .
قالت له غاضبة : لاتتغابى يا سنوحى.
– عفوا يا مليكتى، كيف يكون ملكا ؟! ووالده الملك امنحمات الأول مازال على العرش ، والأمير سنوسرت هو ولى العهد، بل هو يشارك الملك فى الحكم كثيرا .

ابتسمت آزيت قائلة : الملك أصبح طاعنا فى السن، وسيذهب الأفق ويلتحم بالشمس بعد أيام قليلة .
اضطرب سنوحى، وشعر أن هناك عاصفة تقتلع جذوره .
سأل سنوحى مستوضعا ومذكرا : والأمير سنوسرت ...
قاطعته آزيت قائلة : قد يلتحق بأبيه إثر حادث .
حادث !
– نعم قد يصاب بحربة فى قلبه أثناء المعركة .
ردد مبهورا .. مرعوبا : حربة ؟!
– نعم حربة أو سهم أو بلطة أثناء المعركة ، ولا أحد يشعر بك، بعدها تكون الوزير الأول .
ما رأيك يا سنوحى؟
الثعابين تطارده فى السرداب المظلم ، .. وحيوان خرافى يطلق صاعقة نارية نحوه .
صمت مقهورا مرعوبا .. وهو يقف على حافة جرف .
همست آزيت : الصمت علامة الموافقة .
لم يستطع الكلام، هز رأسه ليتخلص من براثن المرأة العنكبوت، ثم يفكر على مهل .
ابتسمت آزيت، وقالت له : كنت متأكدة من اخلاصك لابنى فانصرف ونفذ ، وإياك من الفشل أو كشف السر .

★★★

كشفت الخادمة شيث السر لأمين القصر نخعت
كافأها على خيانتها بكمية من الذهب .
وقتها أدرك نخعت أنه سيزيح سنوحى من أمام ابنه بازى .

www.alkottob.com

٥ - حيرة سنوحى

الأفكار تتصارع فى رأس سنوحى تكاد تفجره .

شعر سنوحى أن صدره يكاد يحترق لأن المشاعر تفور متداخلة متماوجة لاتكاد تبين .

أطلق سنوحى زفرات كثيرة بسبب الأنون المشتعل فى صدره .

النار تجرى فى عروقه بدلا من الدماء .

صب الماء البارد على رأسه وعلى جسده محاولا إطفاء نيران الأفكار المبهمة ، والمشاعر الخرساء .

كان سنوحي يفكر في الأمير سنوسرت فهو أمير قوي وعادل كما أنه ولى العهد الشرعي، بل ويشارك أبيه الملك امتمحات الأول فى الحكم، وهو فى الحرب شجاع كالأسد، ومثل الصقر فى إنقضاضه على الأعداء، ولذلك فهو يحبه ولايضمر له سوء.

مازال سنوحي يفكر فى الأمير بنتاحور، فهو صديقه ويمتاز بسمو أخلاقه، ودفء مشاعره، ورغبته الصادقة فى مساعدة الآخرين، لم يحدث أن شعر سنوحى بأن الأمير بنتاحور يحسد أخاه ولى العهد سنوسرت، بل هو دائما يظهر الخضوع والطاعة لأخيه، كما أن سنوسرت يقرب بنتاحور منه ويخصه بالحب والرأى والصداقة .

فماذا حدث ؟! هل يعلم بنتاحور بما تدبره أمه آزيت ؟!

لو كان يعلم لظهر ذلك فى تصرفاته .

استعاد سنوحى تصرفات بنتاحور الأخيرة، واقتنع ببراءته .

تأكد سنوحى من ترتيب الأحداث أن الأميرة آزيت هى التى تدبر كل شىء .

رغبة جارفة من الأم فى أن يكون ابنها الملك هى التى تحركها هذه رغبة مدمرة ستخرق كل شىء .

الاحتفال بالعيد فى المعبد (صورة على جدار من معبد إيزيس فى بومبى

www.alkottob.com

ما العمل يا سنوحى ؟

لابد من إخبار بنتاحور نفسه، فهو الوحيد الذى يستطيع إفشال هذه المؤامرة الغادرة .

إرتاح سنوحى لهذا الرأى ونام استعدادا للخروج مع الحملة فى صبيحة اليوم التالى .

★★★

تجمع الأهالى على صوت الأبواق لرؤية الحملة .

فتحت أبواب القلعة، وتقدمت كوكبة من الفرسان بملابسها ذات الخيوط الذهبية والفضية اللامعة ، ثم أعقبهم الأمير سنوسرت ولى العهد وقائد القوات يلبس خوذة على رأسه ، ودرعا نحاسيا منقوشا عليه رسم الصقر، ويقود عربة حربية .

بعد منه بقليل وعلى جانبه الأيمن الأمير بنتاحور فى مركبته وعلى الجانب الأيسر سنوحى فى مركبته ثم بازى فى مركبته . هتف الناس بحياة فرعون ؟ وحياة سنوسرت ، ونثروا على القادة أزهار اللوتس .

بعد المركبات ظهرت كتيبة رماة السهام .

ثم حملة الحراب .

وأخيرا ظهر الجنود حملة الهراوات الغليظة والسيوف القصيرة مقسمين إلى مجموعات ،كل مجموعة مائة جندى يرأسهم قائد فى مؤخرة الجيش ،كان يوجد ألف رجل من حملة الخيام والغلال والطهاة، وصاحب الجيش عدد من الأطباء والكهنة للعناية بأجساد الجنود وأرواحهم.

عاصفة من التصفيق قابلت الجيش فى كل الشوارع التى سار فيها .

الجيش القوى آثار الفخر والحماسة فى نفوس المصريين الذين يعرون أنهم أسياد العالم .

تحركت مائة سفينة لنقل هذا الجيش إلى الدلتا.

اجتمع سنوسرت بقواده الكبار بنتاحور وسنوحى وبازى لمراجعة خطة القتال .

أرسل سنوحى نظرات مختلسة إلى بنتاحور وبازى .

لم يقرأ فى وجه بنتاحور شيئا سوى العزم على الانتصار والتحفز للقتال .

لكنه شعر بالقلق من المكر الذى يطل من عينى بازى .

حدَّق سنوحى فى وجه بازى ليتأكد .. فشعر أن بازى يبعد وجهه .

فى فجر اليوم التالى حدث الهجوم على قبائل الليبيين الذين عاثوا فسادا فى غرب الدلتا .

حرص سنوحى على أن يكون بجانب سنوسرت ليدفع عنه أى اعتداء ويحميه من أى غدر .

طلب سنوسرت من سنوحى أن يقود جنوده، ويتركه هو مع جنوده، فيتظاهر سنوحى بالطاعة لكنه يعود إلى ملازمة سنوسرت، وهو يرصد بشكل دائم حركة بازى وأيضا حركة بنتاحور .

لم تستطع قبائل الليبيين الصمود فى وجه الجيش المنظم القوى.

وقتل كثير من الليبيين، وهرب الباقى .

أصر سنوسرت على مطاردتهم مع ممانعة قوية من سنوحى خوفا عليه.

رأى الجميع أن يرتاحوا باقى اليوم على أن يستأنفوا مطاردة هذه القبائل فى فجر اليوم التالى وطردهم إلى الصحراء .

★★★

www.alkottob.com

تعلقت نظرات سنوحى وبازى بفارس يتقدم نحو الخيام .

طلب الفارس السماح له بمقابلة الأمير سنوسرت لأنه يحمل رسالة هامة لاتتحمل التأخير .

عرف سنوحي الفارس، فهو أحد المقربين من نخعت وجف قلب سنوحى وهاجمته الهواجس والشكوك لذلك اقترب من خيمة سنوسرت وهو فى غاية الحذر .

حدث ما يخشاه سنوحى .

الفارس أخبر سنوسرت بمقتل أبيه الملك أمنمحات بمؤامرة مجهولة .

اقتحم بازى خيمة سنوسرت وصاح : أنا أعرف أطراف هذه المؤامرة .

سمع سنوحى اسمه يتردد على أنه ضالع فى المؤامرة وسمع بازى يؤكد لسنوسرت أن سنوحى مكلف بقتله من الأميرة آزيت.

الخوف شل تفكير سنوحى.

غريزة البقاء دفعته ليهرب بحياته .

أسرع سنوحى بركوب حصان الفارس الذى قدم برسالة الشؤم.

وذاب سنوحى فى الظلام.

بعد قليل خرج الأمير سنوسرت، وصاح : أين سنوحى؟

بحث عنه فلم يجده.

صاح غاضبا، فقد أكد هروب سنوحى دوره فى المؤامرة

استعاد سنوسرت موقف سنوحى معه فى القتال وهو يلازمه، فسر ذلك بأن سنوحى كان يتحين الفرصة لقتله .

صرخ سنوسرت من هول الخيانة قائلا : من يأتينى برأس سنوحى؟

صاح بازى فرحا : أنا يا مولاى.

– خذ معك ما يكفيك من الجنود ولاتعود إلا برأس الخائن سنوحى.

★★★

٦ - الهروب

الإحساس بالمطاردة ألهبت مشاعره بسياط الخوف .

وكأن الحصان شعر بأحاسيس سنوحي فتلاحقت خطواته السريعة كالعاصفة المجنونة .

وصل سنوحي إلي الشاطئ ، ونزل من علي حصانه .

ربت عليه ومسح علي شعره ممتنا .

هز الحصان رأسه كأنه يرد الشكر.

بالقرب من الشاطئ ، رأى سنوحي صياداً يرمي الشبكة وقاربه الصغير يهتز به.

الرعب سيطر علي الصياد عندما سمع سنوحي يناديه ويأمره بالإقتراب من الشاطئ.

همس الصياد لنفسه «هذا قائد من جيش فرعون مصر ، لماذا ينادي صياداً فقيراً مثلي».

اقترب الصياد من الشاطئ ، وقال بصوت مرتعش :

– أنا لم أبصق في النهر يا سيدى ، ولم ألوثه.

إبتسامة شاحبة تسللت إلي فم سنوحي ، فأضاءت وجهه المكفهر.

رأى الصياد الإبتسامة ، فسرى الإطمئنان إلى قلبه .

قال سنوحى له : سأعطيك هذا الحصان بدلا من القارب .

نظر الصياد إلى الحصان خائفاً .

www.alkottob.com

وقال: ماذا أفعل بهذا الوحش ؟! ، أنا رجل فقير ولست جنديا.

رأى سنوحى أن يحسم الموقف ، فقال له آمراً :

– أنا سآخذ كل ما تملك ، وأنت ...

قاطعه الصياد ، وهو مازال واقعا في قبضة الخوف .

– يا سيدى أنا أدفع الضرائب.

– اسمعنى يا رجل ، سأعطيك ملابسى ودرعى وبعض النقود الذهبية ، وسأحتفظ بالبلطة والسيف والسهام.

فرح الصياد بالملابس الفاخرة ، وفرح أكثر بالنقود الذهبية.

أسرع سنوحى مجدفا بالقارب إلى الشاطئ الشرقى بعد أن بدل ملابسه بملابس الصياد.

★★★

وصل بازى بمركبته الحربية ومعه كوكبة من الجنود .

رأى بازى الصياد فظن أنه سنوحى.

سمع الصياد صوت المركبات ، وصياح الجنود فجرى مرعوبا وهو يعتقد أنه مطلوب.

صاح بازى صيحة قوية مطالباً الصياد بالتوقف.

بكى الصياد بشكل هستيرى ، وهو يصيح :

– ماذا حدث ؟! لم يبلغنى أحد أن الصيد اليوم ممنوع ، وأن اليوم هو يوم نحس.

نظر بازى إلى الملابس التى مع الصياد ، وعرف أنها ملابس سنوحى فسأل الصياد : أين صاحب هذه الملابس ؟..

– هو الذى أعطاها لى ، أنا لم أتعرض له بأى شر ، أقسم بالإله آمون رع أنى برئ.

– أين هو يارجل ؟ تكلم وإلا أرسلت روحك إلى مركب إيزيس.

أشار الصياد إلى البحر قائلاً ، أخذ مركبى ، وهو هناك فى عرض البحر .

إنطلقت السهام من الجنود نحو سنوحى بأمر بازى .

لكن كل السهام سقطت فى البحر.

نظر بازى حوله فوجد مركبين ، فأخذها من أصحابها وركبها قاذفو السهام وجدفوا ليلحقوا سنوحى.

انطلقت المركبتان فى إثر سنوحى ، وانهالت السهام نحو سنوحى .

وهذا أهاج إحساس سنوحى الراسخ بالمطاردة.

بقوة الرغبة فى النجاة، كان سنوحى يضرب المياه بالمجدافين؟

وهو ينظر إلى القاربين برعب الفريسة التى يلاحقها صياد دؤوب مصمم على الظفر بها.

أخيراً وصل إلى الشاطئ.

أخذ يجرى كأنه يهرب من وحش خرافى ينفث النيران فى أعقابه .

رأى سنوحى بعض التلال الصغيرة تحرس الأفق البعيد ، فجرى إليها طالبا الاحتماء بجنود الطبيعة من وحوش البشر.

غاصت قدماه فى الرمال ، وهو يتجه إلى التلال.

برؤية القائد الذى يخوض حربا إختار سنوحى تلاً فى موقع متوسط بين التلال.

وأيضاً مرتفع عن باقى التلال ، كما أنه يتصل بباقى التلال بممرات غير وعرة.

www.alkottob.com

تلاحقت أنفاس سنوحى فى محاولة لإستنشاق الهواء اللازم لإستمراره فى الحياة ، وأخرج قوسه ، وأعد سهامه منتظراً.

لم يطل إنتظاره ، فقد أقبل رسل الموت ، فضجت الصحراء من صخبهم ونداءاتهم.

– أين ذهب سنوحى ؟!

سؤال تردد على الألسنة ، والأقدام تجرى يميناً ويساراً .

– هذه آثار قدميه.

تجمع الجنود عند الأثر الأخير.

أشار أحد الجنود إلى التل الذى يختبئ فيه سنوحى .

قائلاً : أظنه هنا.

– فلنتسلق إليه.

– لا فلنمطره بالسهام من هنا.

تلاحقت السهام نحو التل المختبئ سنوحى خلفه.

سنوحى يبالغ فى الاختباء مع الاستمرار فى رصدهم خوفا من المفاجأة.

وضع سنوحى يده على رأسه متحسساً فاكتشف أنه مازال يلبس خوذته ، فلمعت فكرة فى ذهنه.

خلع الخوذة بحرص ، ووضعها فوق قمة التل.

إنهالت السهام عليها.

صرخ سنوحى كأنه أصيب فى مقتل ، وأسرع بالاختباء خلف تل آخر.

نظر الجنود لبعض ، وقال أحدهم : لقد أصبناه .

– يلزمنا التحقق.

– فليذهب بعضنا للتحقق ، والباقي ينتظر هنا.

– لا سنوحي قوى ، ويجب أن نكون جميعا معا ليكون مصيرنا واحد.

تسلقوا التل ، وصلوا إلى الخوذة.

صاح أحدهم : إنها خدعة.

قبل أن يلتفتوا للخلف ، جاءهم صوت سنوحى.

– سأقتلكم جميعا إن لم تسمعوا كلامى ، وإياكم أن تلتفتوا للخلف.

فترة صمت قليلة مرت.

تحرك أحدهم فاخترق السهم رقبته.

جاءهم صوت سنوحى قويا وواضحا : أنا لا أهزل معكم ، وأنتم جنودى تعرفون مقدار قوتى ، ومقدار حبى لكم .

وما يحدث لا شأن لكم به.

قال أحدهم : لكن القائد بازى أمرنا بذلك .

– دعوا بازى يأتى بنفسه.

فترة صمت أخرى .

كأن الجنود يراجعون أنفسهم .

صاح سنوحى ، من أراد النجاة فليلقى سلاحه ، وإلا سأبدأ فى حصد أرواحكم.

انطلق سهم آخر ليصرع جنديا آخر.

وهذا أقنع الجنود بأن يطيعوا أوامر سنوحى.

قال جندى : دع لنا السيوف لندافع بها عن أنفسنا ضد الوحوش .

– احتفظوا بسيوفكم ، وانطلقوا سالمين ، وإياكم .. والعودة لأنى لن أرحم أحداً فى المرة القادمة.

هرول الجنود من على التل.

www.alkottob.com

عندما وصلوا إلى السفح وقفوا يتشاورون ، فانهالت الأسهم عليهم ، فهربوا مذعورين.

★★★

سار سنوحى فوق التلال وفى ظلالها إلى أن شعر بأن الدروب مثقلة بأشعة الشمس الحارقة فلجأ إلى كهف .

فجأة شعر بالإرهاق ، فسقط إعياء ليستغرق فى نوم ثقيل .

اجتاحت الكوابيس هدأة نومه ، فكان يصرخ وهو نائم آلما .. وخوفا .

★★★

عندما استيقظ سنوحى كان جوفه يصرخ من الجوع ، وشعر بأن دماءه ثقيلة متجمدة وتحتاج للماء.

خرج حذرا من الكهف مستكشفا المكان.

مازالت الشمس تلهب الصحراء بسهامها النارية .

رأى سنوحى أرنبا جبليا ينظر إلى الإمتداد الموحش للصحراء ، والأفق البعيد.

فرح سنوحى لرؤية الأرنب ، فمازالت الآلهة رحيمة به .

أحضر قوسه ، وأطلق سهمه فأصاب الأرنب .

جمع بعض أغصان الشوك ، وأحضر زلطتين ولّد منهما شرارة وشوى الأرنب .

لم يشعر بلذة للطعام مثل هذه المرة.

استعاد بعض قوته ، لكنه رأى أن يمكث فى الكهف إلى أن تغيب الشمس.

★★★

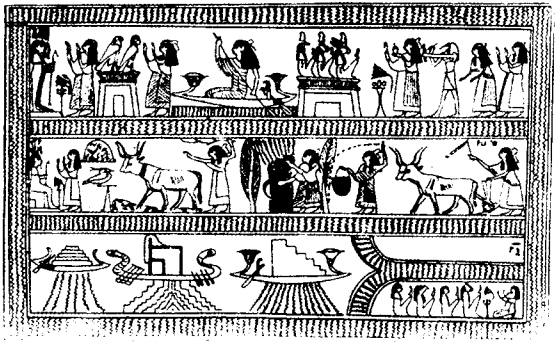

حقل ياورو ، مرتبة جزيرة السيدة وقد مثلت عليها وهى تفلح الأرض وتحرث فى الماء وتحصد الآلهة

تتقدم القربان أمام إحدى مقابر الدولة القديمة . وفى أعلى تمثال الميت فى ناووس

www.alkottob.com

«سنوحى يجب أن يلحق بمركب إيزيس».

إنها رغبة مشتعلة لا تخمد فى صدر بازى.

إزدادت الرغبة إشتعالا عندما استمع بازى لما حدث بين سنوحى والجنود.

وإذا عاد فارغ اليدين فلن يرحمه الملك سنوسرت .

★★★

الرغبة فى النجاة تدفع شجرة الحياة لتمد جذورها حتى فى أرض بعيدة منفية.

لم يتأخر سنوحى فى الحركة بسرعة ليبتعد عن خارطة الهلاك وحدود الموت.

سحبت الشمس جنودها إلى مهمة أخرى خلف الأفق الشاحب وسنوحى يسير ولا يعرف إلى أين.

اللون الرمادى الرائق صبغ الصحراء قبل أن يحل الظلام .

الهواء الحارق أصبح نسمات دافئة ، وبدأت تظهر كائنات الصحراء لتشاهد هذا التحول .

اختبأ سنوحى خلف أحد التلال ، وهو يرى قطيعاً من الذئاب تخرج من أحد الكهوف.

عوت الذئاب عندما تشممت رائحة سنوحى ، وجرت نحوه وهى تعوى.

أطلق سنوحى السهام نحو الذئاب فتوقفت وهى تعوى ، وكأنها تراجع موقفها.

استمر سنوحى فى إطلاق سهامه ، فابتعدت الذئاب باحثة عن صيد آخر.

بعد قليل تحرك سنوحى نحو كهف الذئاب ، سمع أصواتاً

ضعيفة ، بحذر شديد تقدم سنوحى وهو ممسك البلطة لكنه هدأ عندما رأى عدداً من صغار الذئاب.

رأى سنوحى أن يخرج ويتابع طريقه.

سنوحى لا يتوقف ولا يدرى إلى أين تقوده قدماه فى خريطة المنافى المجهولة.

أذناه التقطت أصواتا خدشت السكون الجليل للصحراء

أرهف سنوحى السمع ليتبين الخطر القادم.

صيحات ، وفرقعات عجل، وصهيل أحصنة .

بازى وكوكبة من الفرسان والجنود يفزعون السكون الذى هرول للإختفاء بعيداً.

أنفاس سنوحى تسارعت كأنها تعد اللحظات الأخيرة

التصق سنوحى بأحد التلال ، وهو يرصد بازى .

ويتساءل كيف تجتمع قوتان متضاربتان فى صدر بازى قوة الحب ليتكاهيت ، وقوة الكراهية لسنوحى .

كما تساءل هل يستطيع امتداد الصحراء اللانهائى تخفيف الكراهية الحاقدة عند بازى ؟!

أما السؤال الأهم الذى ألح على رأس سنوحى هو كيف ينجو منه؟

الليل فرش عباءته السواء على امتداد الصحراء فتحولت الكائنات إلى أشباح.

المشاعل فى أيدى الجنود تحاول مطاردة الظلام.

نظر سنوحى إلى السماء كأنه يبحث عن مركب إيزيس السارية فى الفضاء.

النجوم متألقة وانسابت نظراتها إلى قلبه المضطرب فى محاولة يائسة لبث السكون فى نفسه الحائرة .

www.alkottob.com

– لا يمكن أن يكون سنوحى قد ابتعد كثيراً.

وصلت كلمات بازى إلى أذنيه.

قال بازى : إن جلد الأرنب الذى سلخه ، ورماد النيران تقولان أنه لم يبتعد كثيرا.

جندى : هذا مع الأخذ فى الحسبان أنه لا يستطيع السير فى الظهيرة بسبب نيران الشمس الحارقة.

بازى : وكأن الإله رع يساعدنا فى القبض على هذا المجرم.

رأى سنوحى أن يلتزم السكون ويراقب من بعيد.

وجف قلب سنوحى عندما سمع بازى يقول لبعض جنوده .

– اذهبوا للبحث عنه أو عن أى آثار له خلف هذه التلال .

تحركت المشاعل ، ومعها رسل الموت للبحث عن سنوحى .

فكر سنوحى كيف يدرأ هذا الخطر الداهم؟

لمعت فكرة فى ذهن سنوحى ، فأسرع نحو كهف الذئاب .

تسلل إلى داخل الكهف محاذرا أن يصدر أى صوت ، ثم توقف قليلا مرهفا السمع إلى الأصوات حتى تأكد أن صغار الذئاب تلعب وحدها.

اختطف سنوحى ذئبين ، وجرى سريعا حتى وصل إلى الجنود الذين يتسلقون التلال ، وقذفهم بالصغيرين.

تراجع الجنود خوفا ، وهم يلتفتون فى كل إتجاه.

تداخلت صيحاتهم ، وسنوحى مختفى يراقب منتظراً .

لم ينتظر سنوحى كثيرا ، فما لبث الهواء أن حمل عواء الذئاب ، وتألمت التلال من مخالب الذئاب العاوية بوحشية.

تتبعت الذئاب رائحة الصغار ، والتقطت الآذان الحادة صوت الأنين ، فركضت مدفوعة بجنون الغريزة اليقظة لإنقاذ حياة الصغار.

فوجئ الجنود بقطيع من الذئاب يهاجمهم بقوة ، وهم يملأون الصحراء بعواء حاد رهيب ينذر بالموت بين المخالب القوية ، والأنياب القاطعة.

جرى الجنود إلى السفح مرعوبين ، ولم يصدقوا بالنجاة.

صوّب الجنود السهام نحو قطيع الذئاب.

لكن الذئاب عادت إلى كهفها مطمئنة لإنقاذ حياة الصغيرين...

★★★

قال أحد الفرسان للقائد بازى : لا أظن يا سيدى أن سنوحى قد نجا من هذه الذئاب الشرسة.

صمت بازى متفكرا ، ورأى أن سنوحى إذا نجى من هذه الذئاب ، فلابد أن حراس «جدار الأمير» سيمسكون به وعليه أن يأمرهم بقتل سنوحى فور رؤيته.

حصن «جدار الأمير» .. شيده الأمير سنوسرت ليصد غارات البدو على المدن ، وهو يفصل صحراء سينا عن باقى الوادى

والقائد بازى متأكد أنه لا أحد يستطيع المرور من جدار الأمير ، لأنه لا توجد تلال أو جبال أو أى مانع طبيعى بالقرب منه ممكن أن يحتمى به الهارب.

★★★

٧ - حصن جدار الأمير

وصل سنوحى إلى الحصن ليلا.

وجد المشاعل تضئ جانبى البوابة الضخمة التى تتوسط جدارا عاليا.

www.alkottob.com

كما رأى أربعة حراس يغالبون النوم يجلسون على جانبى البوابة وكل حارس يمسك رمحا ، ويضع سيفا عند خصره .

فى مخبأه كان يتساءل : كيف النفاذ من هذا الحصن ؟

ومن هؤلاء الحراس ؟

انتظر حتى رأى أحد الحراس يبتعد ليقضى حاجته.

انقض سنوحى عليه.

الرعب ملأ قلب الحارس من منظر سنوحى.

لأن مئزره (الذى أخذه من الصياد) أصبح قذرا ، وشعره أصبح مشعثا متسخا ، كما أن الشمس كسته بلون أسمر صدئ،

وإحساس المطارد بعث فى عينيه نظرة حادة مخيفة .

رفع البلطة على الجندى مهددا إياه بالقتل.

سأله الجندى مرعوبا : ماذا تريد يا سيدى ؟

– حياتك.

– لماذا .. هل أنت قاطع طريق ؟

– نعم.

– وماذا تريد من جندى مسكين؟

– النفاذ من هذه البوابة.

– هذا لا يمكن.

– دلنى على طريقة.

– ليس بيدى .

– بيد من ؟

– إنها لا تفتح إلا بأمر القائد ، وهو موجود فى المبنى الصغير الذى يحرسه كثير من الجنود.

لم ييأس سنوحى ، وشدد الضغط على رقبة الحارس مهددا .

وقال : لابد من المرور وإلا قتلتك.

صمت الجندى قليلاً وكأنه يفكر ، ثم قال له:

– لماذا لا تفعل مثل المتسللين؟

– كيف ؟

– عليك أن تتجه نحو الشرق ، فستجد هناك جبالا وتلالا وعرة يتسلقها المتسللون.

– ألا يوجد هناك جنود ؟

– توجد دوريات حراسة إبتداء من الفجر.

ضربه سنوحى على رأسه ففقد الوعي.

انطلق سنوحى نحو الشرق مسترشدا بالنجوم ومتسترا بالظلام..

وصل سنوحى إلى التلال منهكا.

جلس وهو يتمنى النوم لكن الخوف ألهبه بسياطه فبدأ التسلق.

نسمات الليل باردة ونقية تبعث البهجة فى القلب المطمئن .

أما سنوحى فكان يبحث عن أرنب أو غزالة أو حتى بعض الحشائش ليلبى نداء معدته.

كل كهف يمر به ، يتسلل إليه بحذر ، وينظر إلى داخله مسترشدا بضوء النجوم المتألقة فى قبة السماء الصافية .

فى أحد الكهوف سقط إعياء ونام نوما عميقا.

عندما استيقظ ، خرج من الكهف ، فوجد الكون مازال مصبوغا باللون الرمادى الرائق ، وأن الضوء الفضى مازال طفلا يحبو فى نهاية الأفق.

قرر استئناف السير ، وهو ينظر إلى النجوم الآفلة برجاء كأنه يطلب منها الانتظار لهدايته فى طريقه المجهول.

لم يصدق سنوحى عينيه عندما رآها.

www.alkottob.com

أوزة بيضاء كأنها اغتسلت بنور الفجر.

هل هى حقيقة يا سنوحى ؟!

كتم سنوحى أنفاسه ، وصوب قوسه نحوها، وأطلق سهمه.

صاحت الأوزة آلما ، وهى ترقد على جنبها.

أسرع سنوحى نحوها ، وهو يقول لها أرسلتك الآلهة لى فـ (معت) إله الحق والعدل يعرف أننى برئ ؟ وأننى يجب أن أعيش لأظهر الحق ، وأنت رسول الحياة لى .

أرجو أن أقابلك فى الحياة الأخرى ، وسأقابلك ، وسأطعمك كثيراً من الحبوب والماء وسأنظف ريشك ومنقارك ونلعب معا .

بعد أن اعتذر سنوحى للأوزة شواها وأكلها فسرت دماء العافية فى جسده.

جمع سنوحى عظام الأوزة وريشها ودفنه فى حفرة .

ووضع على الحفرة قطعة من لحمها قربانا للإله آمون وردد بعض الأدعية ليجمعه آمون مع الأوزة فى الحياة الأخرى.

ثم قفز فرحا فوق التلال.

أراد سنوحى أن يقدم شكره للآلهة ، فلم يجد سوى النجوم توجه إليها يناجيها ، فهناك تسبح الآلهة وتراه وتعرف مظلمته.

شعر سنوحى بالصفاء الروحى ، واطمئنان القلب ، وبقوة طارئة سرت فى جسده المكدود، استأنف السير .

انتهت سلاسل الجبال بعد يومين من السير ليلا والنوم نهارا..

وهو يعانى من الظمأ.

الصحراء الآن ممتدة حتى الأفق.

لا ماء ، لا شجر ، لا نبات ، لا حيوان.

لا شئ غير الرمال تغوص فيها قدماه ، فتصبح حركته بطيئة ، وأحيانا يرى بعض التلال المتفرقة الصغيرة.

الشمس أرسلت رماحها الساخنة لتذيب أى مقاومة لديه أو رغبة فى السير.

إلى أقرب تل ، سار منهوكا منزوف القوى يقتله الظمأ .

جلس فى الظل الضعيف المرتعش للتل.

فى هذه الجلسة البائسة تذكر وجه محبوبته تيكاهيت.

دفعت الذكرى نسمات رقيقة من الأمل ، وفاضت مشاعره ، فأخذ يخط على الرمال قصيدة حب لتيكاهيت (١) .

ها آراها آتية .. أرى حبيبتى مقبلة.

تتهادى كنسمة الربيع

مرفوعة الرأس يداعب الريح ضفائرها

تكاد قدماها لا تلمسان الأرض

وهى تخطو كراقصات المعبد

وتتماوج ذراعاها ويداها فى دلال

كأمواج البحر فى ضوء القمر

وأسمع صوتها يحمل إلىّ النسيم من بعيد

كرنين قيثارة الحب فى سكون الليل

ها أنا أرى حبيبتى مقبلة.

هناك ألم جسدى حاد انغرس فى عناق سنوحى فأيقظه من جو الشعر والذكريات.

أمسك بمكان الألم ، ونظر فرأى ثعبانا يتلوى بعيدا.

نزع جزءا من إزاره ، وربط رجله فوق مكان الألم .

وجد أظافره طويلة ، فجرح رجله عند اللدغة ، وأخذ يضغط على رجله لتخرج الدماء.

(١) القصيدة مكتوبة على ورقة بردي محفوظة فى متحف برلين.

www.alkottob.com

لكنه أدرك أنها النهاية ففاضت عيناه بالدموع لأن جسده سيتحلل فى العراء ، ولن يبعث فى الحياة الأبدية لأن الكاد (الروح) .. لن تجد جسده المحنط ، وستهيم باحثة قلقة.

.. فى الحياة الأبدية لن يرى محبوبته تيكاهيت ، وهى ستبحث عنه ، ولن تجده.

نام سنوحى مستعدا للإبحار فى مركب إيزيس نحو الأفق .

وفقد الوعى بكل شئ.

٨ - شيخ القبيلة

امتعضت سوترا وهى تنظر إلى الرجل الذى أحضره أبوها على الحمار.

تشاغلت بإخراج خبز الشعير من الفرن.

ناداها أبوها عمو نتشى شيخ القبيلة.

– تعالى يا سوترا .. احملى معى هذا الضيف.

وهى تحمله مع أبيها ، أشاحت بوجهها بعيدا ، وهى تغمغم :

– رائحته غير مقبولة يا أبى.

– إنه مسكين .. لا أعرف سبب وجوده فى هذه الصحراء

أرقده عمو نتشى على فراء خروف.

ذهب الشيخ إلى الداخل ، أحضر إناء فخاريا ، يحتوى مزيجا من الأعشاب ، ثم كشف عن ساق سنوحى ، ووضع المزيج على مكان اللدغة.

رأته سوترا فسألت : هل قرصه ثعبان؟

– نعم.

– منذ متى؟

– لا أدرى ، لكن جسمه دافئ.

الإلهة أزريس

www.alkottob.com

– الأفضل أن تسقيه المزيج الخاص بلدغة الثعبان.

– سأحاول .

بعد قليل ، جلس الأب يتناول طعامه ، تقدم منه كلب وقرد وأوزة.

ابتسم الرجل لرؤيتهم وعلق : الحرس ... هل يستحقون الطعام؟..

– طبعاً ، فليس لنا غيرهم يحرسون الغنم.

ثم أكملت ضاحكة : الأوزة تصيح فى القرد وتعضه عندما يغفل والقرد يقفز ويصيح فى وجه الكلب ، والكلب يرد الخروف الشارد .

سوترا جالسة بالقرب من أبيها لتلبية طلباته وتحدثه:

– من أى قبيلة هذا الرجل ؟

– ملابسه لا تدل على شئ ، ورائحة ملابسه تدل على أنه صياد سمك.

سوترا متعجبة : هل جاء لصيد السمك فى الصحراء ؟!

رأت سوترا : أشياء بجانب الحمار المربوط بالقرب منها .

أشارت سوترا نحو الأشياء وسألت : هل هذه الأشياء تخصه ؟

– نعم إنها بلطة وسيف وقوس وسهم.

صاحت سوترا بخوف : إنه قاطع طريق.

الأب ساخراً : هل جاء ليقطع الطريق فى الصحراء ؟!

– هذا رجل غامض.

قال الأب ، وهو ينتهى من طعامه : إنه رجل مطارد يفر من قوة كبرى أو صاحب نفوذ جبار.

– كيف عرفت !

– لأنه لجأ إلى هذه الصحراء القاتلة بدلا من أن يلجأ لقبيلته

هزت سوترا رأسها قائلة : قد يكون ارتكب جرما كبيرا .

– أنت لا تحسنين الظن بالناس ، وبعد أن تتحسن صحته سنعرف كل شئ.

– الأهم أن تغير ملابسه يا أبى.

ضحك الشيخ عمو نتشى قائلاً : ملابسه فقط ؟! إنه يحتاج لنظافة كاملة.

سننتظر ثلاثة أيام ، فإما أن يموت فندفنه فى الصحراء أو يحيى فينظف نفسه.

★★★

بعد ثلاثة أيام ..

فتح سنوحى عينيه ، فرأى ضوء الفجر يُولَدْ فى ثنايا اللون الرمادى.

هل هى الحياة الأخرى ؟! أين الآخرون ؟ أين إيزيس ؟ وأوزوريس ؟ وميزان الحساب ؟ والشرير ست ؟

تحسس جسده بيده ، وهمس : كل أعضائى الظاهرة مرجودة

لكن أين أمعائى ؟! وطعامى المحفوظ بجانبى ؟! وأين أبى الحبيب ؟ وأين أمى الغالية ؟ وأين تيكاهيت حبيبة القلب ؟

تنبه على صياح الأوزة ، وهى تطارد القرد الذى يجرى نحو الكلب والكلب ينبح بشكل متواصل .

ابتسم عندما رأى الأوزة .. يجب أن ينظف ريشها ومنقارها ويلعب معها.

لكن نظراته وقعت على سوترا .. من تكون ؟ لابد أنها من الآلهة إنها جميلة لكنها عابسة ، لابد أنها من آلهة الحساب ، الها

www.alkottob.com

الحق والعدالة (معت).

ذهبت إلى الفرن لتعد الخبز.

لابد أنها تعد الخبز المقدس للآلهة.

التفتت سوترا نحوه ، فالتقت نظراتهما ، أشاحت بوجهها بعيدا، فأدرك أن مصيره سيكون سيئاً.

خطوات أخرى لرجل كهل يرتدى ملابس غريبة ، من يكون هذا الرجل ؟

هل هو المكلف بأخذه إلى ست.

الرجل حيا الفتاة ، وهى ترد التحية بود .

ثم قالت له : الصياد استيقظ ، وبرأ من مرضه.

التفت الرجل نحوه ، ثم حياه ، ودعاه للنهوض.

رأى سنوحى قطيعا من الغنم والعنز يتجمع بإنتظام تحت إرشاد الأوزة والقرد والكلب.

قدم الرجل له إناء ممتلئا باللبن ، شرب سنوحى وشعر بدماء العافية تسرى فى جسده.

ابتسم الرجل ابتسامة تتفجر بالسعادة والإنتصار قائلاً :

– لك عمر جديد أيها الشاب.

سأل سنوحى بسرعة ، مع إيزيس أو مع ست ؟

لم يفهم الشيخ عمو نتشى شيئاً ، واعتقد أن سنوحى يهذى بسبب الألم ، فقال موضحا : أنت الآن فى قبيلتى .. قبيلة الشيخ عمونتشى فى أرض رتنو.

ماذا ؟!

وجدتك بين الحياة والموت ، وحملتك إلى هنا ، وعالجتك بالأعشاب ، وها أنت حى بيننا.

اندفعت الذكريات إلى ذهن سنوحى ، واسترد الوعى بنفسه

وبالكون ، لمعت عيناه بالإدراك ، فقال مخاطبا الشيخ عمونتشى .

– أشكرك يا عمى ، وأسأل الآلهة أن تبارك عملك وتلحقك بإيزيس فى الحياة الأخرى.

شعر الشيخ بالحيرة ، فهو لم يفهم كلام سنوحى بالرغم من أن كلامه واضح ، وجمله مرتبة وينطقها بثقة.

فسأله مستوضحا : من تكون إيزيس هذه !

– آلهة الخير.

– دعك من هذا ، وقم لتغتسل وتنظف نفسك وتقص شعر رأسك ولحيتك وأظافرك.

نادى الشيخ على ابنته سوترا ، وطلب منها أن تسخن ماء لسنوحى ثم أحضر رداءً نظيفاً لسنوحى.

نظر سنوحى إلى أظافره فانقبض صدره ، وطلب مرآه .

أحضرت سوترا قطعة معدن مستطيلة ومصقولة.

هال سنوحى ما رأى.

شعر طويل مشعث متسخ ، ولحية غير مهذبة ، ووجه متجهم .

فسأل الشيخ عن حلاق لتهذيب لحيته وشعره.

ضحك الشيخ قائلاً : سأقوم أنا بهذا ، وسأجز شعرك كما أجز الشاه.

★★★

الشيخ عمونتشى ، وهو يحلق شعر سنوحى ، يدفعه فضول شديد لمعرفة اسم هذا الغريب ، وحكايته ، وأسباب مجيئه للصحراء..

فكر سنوحى كثيراً ، ثم قال : اسمى كايتسوسشن المصرى .

ضحك الشيخ قائلاً : فليكن اسمك المصرى ، وهذا يكفينى ، لكن ما هو عملك ؟

www.alkottob.com

– صياد سمك فقير.

تأمله الشيخ طويلا ثم قال بلهجة فاترة.

– فليكن ، ما الذى أتى بك إلى هنا؟

– تشاجرت مع جامعى الضرائب ، فاستولوا على قاربى ، ويريدون إدخالى السجن فهربت من الظلم.

– ما سبب وجود البلطة والسهام والسيف معك.

– لأبعد حيوانات الصحراء عنى .

هز عمونتشى رأسه قائلاً : أنت لست صياد سمك .

وجف قلب سنوحى.

أكمل عمونتشى كلامه : أنت صائد وحوش يا مصرى .

★★★

– سأذهب إلى المرعى يا أبى ، هل تريد شيئاً ؟

– شكراً يا سوترا.

توقفت نظرات سوترا عند شاب يقف مع أبيها.

من يكون هذا ؟ .. ولماذا يلبس عباءة أبيها ؟!

إنه شاب وسيم قوى ، يا ترى من أى قبيلة ؟ إنها متأكدة أنها رأته من قبل.

سمعت والدها يناديه قائلاً يا مصرى..

– هل هو الصياد المريض ؟! إياه !! إنه هو ؟ لا يمكن أن يكون هذا الشاب صيادا.

هزت سوترا أكتافها ، وساقت الغنم إلى المرعى بمساعدة القرد والأوزة والكلب.

★★★

جلس عمونتشى يغزل الصوف ، ويحكى لسنوحى.

– ماتت زوجتى ، وأعيش مع ابنتى ، لا أدرى ماذا أفعل . عندما تتزوج؟

وقف سنوحى قائلاً لعمونتشى : سأتجول قليلا لمعرفة المكان.

ضحك عمونتشى : المكان ؟! إنها رمال بجوار رمال ، وبعض أكواخ للقبيلة .

خرج سنوحى ، ومعه قوسه وسهامه .. باحثا عن أى صيد.

فى وقت الظهيرة ، ثبتت نظرات عمونتشى على سنوحى وهو قادم من بعيد يحمل شيئاً على كتفيه.

ابتسم عمونتشى لرؤية الغزالة التى يحملها سنوحى.

وقال مؤكداً لنفسه «المصرى ليس صياد سمك».

إنه يسير معتدل القامة ، شامخاً برأسه كأنه سيد آمر.

تعاون سنوحى مع عمونتشى على طبخ الغزالة .

★★★

وقت الغروب ، عادت سوترا مع قطيع الغنم ، ونبح الكلب عاليا، عندما اقترب من البيت إعلانا لوجوده ، وشاركته الأوزة فى الصياح.

قابلها عمونتشى بفرح قائلاً: المصرى إصطاد غزالة.

نظرت سوترا نحو سنوحى نظرات غريبة ، ليس بينها الاعجاب..

سألها الأب متعجبا : لماذا أنت صامتة ؟!

– بعد العشاء ، سأحكى لك يا أبى .

– عرفت ، رامون الجبار .. أخذ منك خروفاً.

– لا شئ يخفى عنك يا أبى.

www.alkottob.com

– إنها ثمرة التجارب يا إبنتى.

تابع سنوحى الحوار بإهتمام.

فى جلستها أمام الكوخ ، سأل سنوحى الشيخ : من يكون رامون ؟

– إنه قاطع طريق جبار.

– لماذا تصفه بالجبار؟

– لأنه لا يرحم أحدا.

– لا أفهم.

– إنه يأخذ ما يريد من الآخرين.

– هل يدفع الثمن؟

– إذا لم يأخذ ما يريد بالرضا يأذيك هو ورجاله ، وقد يأخذون كل ما عندك.

– لماذا لا تقاومونهم ؟

– لا أحد يستطيع الوقوف فى وجهه هو ورجاله.

صمت سنوحى متفكرا.

بعد أن أكلت سوترا ، خرجت وهى تحمل إناء قائلة.

– أنا ذاهبة لإحضار الماء يا أبى.

– رافقتك السلامة يا إبنتى .

سأل سنوحى الشيخ عمونتشى : هل يبعد البئر كثيرا؟

أشار عمونتشى نحو الغرب قائلا.

– تسير فى هذا الإتجاه إلى أن تجد بعض المزروعات.

★★★

فى الصباح الباكر ، أخذ سنوحى آنية ، واتجه بها نحو البئر.

وجد بعض المزروعات بالقرب من البئر.

أخذ ينظر نحو البئر مفكرا ، وفكر أن يعمل (سادوف) لإخراج الماء بسهولة من البئر.

عندما عاد رآه الشيخ يحمل .. آنية فوق كتفه.

سأله فرحا : أين كنت يا بنى ؟

– أحضر الماء.

– لماذا ؟ وسوترا هنا.

– أصنع من نفسى شيئاً مفيدا يا عمى.

همس عمونتشى لنفسه هذه إجابة رجل عاقل.

يشعر سنوحى أن سوترا تعامله بتحفظ وبحذر.

رأى سنوحى إبنة الشيخ تضع الطعام لهما.

حياها ، غمغمت بالإجابة ووجها متجهم .

★★★

فى المساء افتقد عمونتشى سنوحى ، فسأل ابنته عنه.

قالت : لعله غادرنا.

– هل تضيقين بوجوده يا إبنتى؟

– انتهت الأيام الثلاثة الخاصة بواجب الضيافة.

صمت الأب ، وتشاغل بمغزله.

على ضوء مشعل صغير رآه قادما من بعيد يحمل شيئاً على كتفيه، فرحة صغيرة تسللت إلى صدره ، فهو يرتاح لوجود هذا المصرى .

– ماذا يحمل على كتفيه ؟!

لابد أنه أصطاد غزالة ، ياله من صياد ماهر!

– ماذا ؟! إنه يحمل خروفا ، كيف ؟! ومن أين ؟!

صاح عمونتشى منزعجا بالكلمات فى وجه سنوحى .

ابتسم سنوحى ، وهو يضع الخروف على الأرض قائلاً .

www.alkottob.com

– استرددت الحق.

– لا أفهم.

– أخذت هذا الخروف من رامون.

– كيف ؟!

– تسللت إلى حظيرة المواشى الخاصة به ، وأخذت هذا الخروف بدلاً من الخروف الذى سرقه منكم.

خرجت سوترا على الصياح ، وعندما عرفت بالموضوع نظرت إلى سنوحى بغير رضا.

قالت : لن يغفر رامون لنا هذا التصرف .

نظر الأب إلى ابنته وقال : بدأ رامون بالعدوان .

ثم وضع عمونتشى يده على كتف سنوحى قائلاً: من الواضح أن المصرى لا يقبل الظلم ، كما أنه لا يعرف من هو رامون.

إتجهت سوترا نحو والدها وقالت بحزم : أعد الخروف إلى رامون يا أبى.

– كيف ؟! وهذا سيثير التساؤل ، فلنحتفظ به ، ولا تأخذيه معك إلى المرعى .

نظرت سوترا إلى سنوحى بغيظ وقالت : ستجلب لنا المشاكل يا مصرى .

– لا تلوميه يا ابنتى إنه يحاول إرضاءنا ، وتصرفاته تدل على علو شأنه وقوة إرادته.

★★★

٩ - رامون يثير الرعب

صاح الأوز ، ونبحت الكلاب مستجيرة ومنبهة للرعاة من الهجوم الكاسح على المرعى .

قام رامون ورجاله بالهجوم على الرعاة فى الوادى الكبير ، وذلك

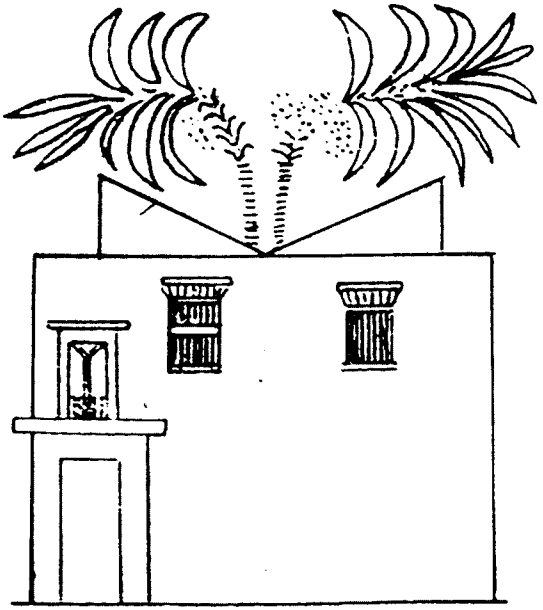

منزل من طبقه واحدة

www.alkottob.com

لأن رامون قد جن جنونه بسبب تجرؤ أحدهم على سرقة خروف من حظيرته ، فقرر أن يؤدب كل الرعاة بأخذ خروف من كل راعى.

الوجوم يكسو وجه سوترا ، فما أن سألها أبوها عن سبب حزنها، وعودتها مبكرا .

إنفجرت سوترا باكية ، وهى تلقى باللوم على المصرى قائلة :

– رامون ورجاله عاقبوا كل الرعاة ، وأخذوا من كل راعى خروفاً بدلاً من الخروف الذى سرق من حظيرته .

غمغم عمونتشى : دائما نلقى اللوم على الضعيف بدلاً من التصدى للظالم .

قالت سوترا بلهجة يائسة : من يستطيع التصدى لرامون يا أبى ؟! صدقنى يا أبى المصرى لن يجلب لنا سوى الخراب .

– اصمتى ، أخاف أن يسمعك .

– أريده أن يسمع ويفارقنا .

★★★

بحث الشيخ عمونتشى عن سنوحى فلم يجده ، فقد اختفى سنوحى مع سيفه وقوسه وسهامه.

أمسك عمونتشى بالعباءة التى كان يرتديها سنوحى وقال بحزن: المصرى تركنا ، وترك العباءة التى أعطيتها له.

– دعك منه.

– أنت قاسية وتظلميه ، لا أدرى لماذا ؟! صمتت سوترا ، وتشاغلت بأعمال المنزل .

★★★

نظرات النجوم المتألقة تنساب إلى قلب سنوحى ، والنسمات الباردة التى ساقتها أمواج الظلام هدأت كثيراً من ثائرته .

ظهر طيف تيكاهيت أمامه ففاض قلبه حباً ووجداً ، فأخذ يبث النجوم أشواقه ، ويخط على الرمال قصيدة شعر * .

اذكرى حبنا وأنت تجلسين تحت شجرة الجميز
لقد تعاهدنا فى ظلها عند أول لقاء
أن يدوم حبنا إلى الأبد .
مهما حاولت عواصف الحسد أن تعبث بغصونها
أو تقتلها
استمعى إلى حفيف أوراق الشجرة
فهى تهمس لك بألحان قلبى
أنظرى إلى غصونها فهى تمدها
لتصد عن حبنا عيون الشر
سأعود عندما تتفتح أزهار الحديقة
وتغرد طيورها
سأعود من الأرض البعيدة مع الطيور المهاجرة
التى تلقى بنفسها فى أحضان البحيرة
لتنسى تعب الرحلة
وأنت يا تيكاهيت بحيرتى

★★★

الدموع صنعت غشاء رقيقا أمام نظره ، فصارت المرئيات أشباحاً .

رأى سنوحى شبح كلب ، وشبح قرد يتجهان إليه ، كما رأى شعلة ضعيفة تتحرك من بعد فى محاولة لتبديد الظلام

الكلب جلس بالقرب من سنوحى ، والقرد يقفز حوله .

* موجودة فى متحف برلين على ورقة بردى .

www.alkottob.com

– أنت هنا يا مصرى ؟!

رفع سنوحى رأسه فرأى الشيخ عمونتشى ومعه ابنته سوترا تحمل الشعلة .

وقف سنوحى مضطربا ، احتضنه الشيخ وقبله قائلا له :

– لا تغضب يا بنى ، نحن نحبك ، وابنتى سوترا جاءت لتعتذر لك .

تقدمت سوترا نحوه ، وقالت وهى تحنى رأسها :

– أنا آسفة يا مصرى ، كنت غاضبة أرجو أن تعذرنى .

رأى الشيخ رسوما غريبة على الرمال ، فملأت صدره الشكوك والهواجس ، لذلك سأل سنوحى وهو حذر :

– ما هذا يا مصرى ؟! هل أنت ساحر ؟!

نظرت سوترا للرسوم الكثيرة الموجودة على الرمال ، وأطلت الأسئلة من عينيها .

ابتسم سنوحى قائلا : هذا ليس سحرا :

عمونتشى : وماذا يكون ؟

قصيدة شعر .

سألت سوترا بإهتمام وإعجاب : قصيدة شعر ؟! هل تعرف الكتابة ؟!

أجاب سنوحى بشكل فورى : طبعاً

غمغم الشيخ عمونتشى : أعرف أن الكتابة والقراءة هما مفتاح الوظائف العالية فى مصر .

فمن تكون يا بنى ؟! ولا تقل لى أنك صياد .

قال سنوحى بحزن : أنا رجل سىء الحظ .

سألت سوترا بلهفة : لمن كتبت هذه القصيدة ؟

صمت سنوحى ، واكتسى وجهه بالحزن .

عمونتشى : قد يكون كتبها لزوجته .

سنوحى – لم أتزوج بعد

راحة غريبة سرت فى روح سوترا ، ولا تعرف لها سبب .

أما الراحة التى شملت عمونتشى .. فكان يعرف سببها ، فهو يود أن يزوج ابنته سوترا لهذا المصرى على أن يقيمان معه .

هز الشيخ عمونتشى : أنت محير يا مصرى ، ومهما يكن من أمرك ، فأرجو أن تعود معنا معززاً مكرماً .

★★★

حرص سنوحى على أن يصنع من نفسه شيئا مفيدا للشيخ عمونتشى وابنته سوترا .

فاشترك مع الشيخ فى جز صوف الغنم ، وغزل الصوف .

كما حاول وحده إصلاح الكوخ ، وأعفى سوترا من إحضار الماء من البئر ، وحاول أن يقوم هو بالرعى لكن الشيخ وابنته رفضا، ثم قرر أن يرفع الحرج عن الشيخ وابنته فقرر أن يعد لنفسه كوخا مستقلا .

عند البئر وجد سنوحى بعض الأشجار ، فقطع غصنا سميكا وأخذه معه ثم أصلحه بالسكين ، بعد أيام استطاع أن يحول الغصن إلى قوس لإطلاق السهام .

كان الشيخ عمونتشى يراقبه صامتا متشككا ، وأخيرا سأله :

– ماذا تصنع يا بنى ؟!

– قوس لإطلاق السهام

– لماذا ؟!

– اسمع يا عمى ، لن أترك رامون هذا يفرض قانونه .

«المصرى يتحدث بثقة وقوة قائد مطمئن لقدراته» .

سأل الشيخ متعجبا : قانونه ؟!

www.alkottob.com

– نعم قانون البلطجة والقوة ، فالإله معت لا يرضى عن هذا

– من معت ؟! هل هو الملك المصرى ؟!

– أفضل ، إنه الإله المسئول عن العدل والحق .

صمت عمونتشى متفكرا ، ثم تنفس بعمق قائلا بشفقة .

– رامون لن يسمح لك بشىء

– الحق يؤخذ ولا يمنح

«هذا رجل حكيم قوى ، لكنه يتعامل كثيرا مع الخيال»

سأله عمونتشى : قل لى ، كيف يؤخذ الحق فى مصر ؟

– هناك قاضى يلجأ إليه المظلوم ، وإذا لم ينصفه القاضى يلجأ للوزير ، وإذا لم ينصفه يلجأ للملك .

الشيخ : وإذا لم ينصفه الملك ؟!

– تنصفه الآلهة فى الحياة الأخرى .

– أى حياة أخرى ؟!

– بعد أن تذهب فى مركب إيزيس إلى الأفق ، يتم تحنيط الجسد وحفظه فى تابوت وفى المقبرة لكى تعود الكا (الروح) إلى الجسد فى الحياة الأخرى .

– لا أفهم شيئا مما تقول يا مصرى ؟ هل هذا شعر ؟!

أشار سنوحى إلى النجوم المتلألئة فى ليل الصحراء

وقال للشيخ : هل ترى هذه النجوم ؟

الشيخ : نعم .. ماذا بها ؟

– هل سألت نفسك من يمسك النجوم ألا تقع ؟ وكيف تضىء ؟

ولماذا تظهر الشمس من الشرق وتغيب فى الغرب كل يوم ، من يأمرها بذلك ؟

– لم أسأل نفسى هذه الأسئلة الصعبة.

صمت سنوحى قليلا ، ووقعت نظراته على سوترا.

فاتجه إلى عمونتشى قائلا : أم سوترا .. زوجتك.. أين ذهبت ؟

– تحت التراب.

– وبعد ذلك ؟

– لا أعرف

– هناك حياة أخرى يا عمى عمونتشى للحساب ووزن الأعمال ولقاء الأحباب ، والحياة الأبدية .

– هل تعنى أنى سأقابل أم سوترا فى الحياة الأخرى ؟

– نعم .. إذا كنتما متحابين .

شعر عمونتشى بسعادة طارئة ، وأمل جديد يغزو أفكاره فاندفع قائلا : نعم كنا متحابين ، صدقنى يا بنى كنا متحابين جداً .

ثم نظر بعمق إلى سنوحى ، وقال له : أنت ليس صيادا .

ضحك سنوحى لتكرار كلام الشيخ .

رأته سوترا ، فوجئت بأن هناك شيئا تغير فى وجه المصرى إنه وسيم يهفو القلب إليه ، والمشاعر ترتاح على شطه

تذكرت سوترا أنها لم تره يضحك من قبل .

ابتسمت سعيدة ، وانصرفت لشئونها .

★★★

شهدت الأيام التالية إنضمام عدد من الرجال لسنوحى وعمونتشى فى تجهيز الأغصان وتحويلها لأقواس ، حتى أعدوا أكثر من عشرين قوسا ، ثم طلب سنوحى منهم جمع ما يجدونه من حديد وخشب وسيور مطاطية .

وعن طريق النار وصهر الحديد وتطويعه تمكن سنوحى ومن معه من تحويل الحديد إلى سهام وسيوف وخناجر .

عند الأشجار

www.alkottob.com

وقف سنوحى مع الرجال ليعلمهم إصابة الهدف .

استغرق التدريب أكثر من اسبوعين ليتعلم البدو إصابة الهدف بالسهام .

ثم بدأ سنوحى فى تعليمهم المبارزة بالسيف والطعن به .

كما أخذ ينظم مسابقات للجرى وتسلق الأشجار سعيا إلى أن يكون الرجال أقوياء سريعى الحركة والأهم أن يثقوا فى أنفسهم وسلاحهم وقائدهم .

الشيخ عمونتشى يتأمل المصرى متعجبا وسأله ؟ لماذا تفعل ذلك؟ أجابه سنوحى: اسمع يا عمى ، الحق ضعيف إذا لم تكن هناك قوة منظمة تسانده

الشيخ : يا بني أنت تؤكد أن المصريين هم سادة العالم ويعرفون كل شيء .

– لا أحد يعرف كل شيء يا عمى .

– عقلك يحيرنى يا بنى .

– العقل إذا غذيناه بالمعرفة يصل إلى آفاق كبيرة .

– يكفى يا بنى .. أنا لا أفهم شيئا .

١٠ - المعركة مع رامون

استمع رامون بإهتمام لأحد رجاله وهو يقول :

– المصرى يدرب الأعراب على القتال .

قهقه رامون ساخرا ، وقال : يجب قتل هذا المصرى ليخضع الجميع لرامون ورجاله الأشداء .

قال أحد رجال رامون : ما رأيك يا سيدى لو هجمنا على المرعى ، وأخذنا مزيداً من الماشية .

تدخل آخر قائلا : وقتها سنرى المصرى ماذا سيفعل ومن يساعده فنقتله هو ومن يساعده .

فكر رامون قليلاً ، وهتف : إنها فكرة جيدة ، فلننفذها الآن .

★★★

فى وقت الغروب

شهد المرعى الموجود فى الوادى الكبير هجوما كاسحاً لرامون ورجاله ، عربدت القوة الحمقاء فى محاولة فجة لفرض قانونها الفوضوى .

أمر رامون رجاله أن يأخذوا من كل قطيع إثنين بدلاً من واحدة .

لم يدافع أحد لأن المرعى لم يكن به أحد سوى الصبية والنساء .

★★★

تجمع الأعراب فى كوخ سنوحى للتشاور ، ومشاعر القوة والضعف تتنازعهم .

اقتربت سوترا من باب الكوخ لتسمع لأنها كانت أكثر الجميع سخطا على سنوحى ، فهى لم تعرف سوى المصائب منذ مجيئه .

الجميع يتصايحون ، ويطالبون بالرد الفورى على رامون وعصابته

لكن سنوحى صامت .

تنبه الجميع لصمت سنوحى فصمتوا قليلا ، ثم صاح أحدهم :

– ما رأيك يا مصرى ؟

– الرأى أن نفرض نحن عليهم مكان وزمان المعركة .

– ماذا ؟! .. كيف ؟!

– أنا عاينت الوادى الكبير الموجود به المرعى ، ورأيت التلال

www.alkottob.com

المحيطة به ، أريد أن يكون هذا الوادى هو مكان المعركة ، وزمانها غدا .

– كيف ؟!

– سنلتقى فى الفجر ، وأقول لكم كيف ؟

تابعت سوترا حديث سنوحى ، وأعجبت بقدرته على مخاطبة المجموعة ، وسيطرته على الحديث .

كما أنها أدركت أنه من النوع الذى يحدد الهدف ويخطط ويحتفظ بالسر ، وينفذ فى الوقت المناسب .

★★★

فى فجر اليوم التالى .

تسلل سنوحى ورجاله المدربين ، (بعضهم يحمل السيوف، والبعض يحمل السهام) إلى حظيرة رامون .

وجدوا حارسين جالسين يقاومان النوم .

هجموا عليهما ، وأوثقوهما ، وأخرجوا كل الغنم الموجودة فى الحظيرة .

قال سنوحى لهما : إذا كان رامون يريد غنمه فسيجدها فى الوادى الكبير ، وسيكون المصرى فى إنتظاره .

★★★

غضبة كالنار اشتعلت فى صدر رامون ، فهذا شىء لم يعاينه من قبل .

صاح رامون فى رجاله : سنأخذ كل الغنم والعنز الموجودة فى الوادى ، ونقتل كل من نجده ، وخاصة المصرى .

هجم رامون ورجاله على الوادى ، وهم شاهرون خناجرهم وعصيهم الثقيلة .

كتبة فى مكاتبهم الحكومية يحاسبون رجالا جالسين على الارض أحضرهم الجند (من مقبرة فى سقارة)

www.alkottob.com

وجدوا الوادى ممتلئا بالغنم والعنز ، ولا يوجد غير النساء والأطفال .

أحاط رجال رامون بالغنم والعنز وطردوا الرعاة

صاح رامون : أين أنت يا مصرى ؟

ظهر سنوحى فوق تل مرتفع قائلا :

– أنا هنا يا رامون

– ماذا تفعل فوق التل ؟!

– أنا هنا لأقتلك يا رامون

– انزل إلى الوادى إن كنت جاداً

– لا ، سأقتلك من هنا يا رامون

ضحك رامون ساخرا

وقال : كيف هل أنت ساحر ؟!

أظهر سنوحى قوسه ، وشد سهمه ، وصوب نحو أحد رجال رامون ، وأطلق السهم فقتل الرجل .

صاح رامون غاضبا ، وقال لرجاله :

– اصعدوا التل ، واقتلوا هذا الجبان.

بدأ رجال رامون تسلق التل .

وعندما وصلوا إلى منتصفه ، ظهر الأعراب المدربون وأطلقوا سهامهم ، فقتلوا الكثيرين منهم .

وجرى الآخرون نحو السفح ، والسهام تلاحقهم ، وهم يحاولون الاحتماء بأى ساتر .

تساقط عدد من رجال رامون صرعى بالسهام مما آثار جنون رامون .

صاح رامون غاضبا : يا مصرى .. أنت تختمى بالجبل .. انزل إلى هنا .

جاءه صوت سنوحى : سأنزل ، وأصارعك رجلا لرجل .

كان هذا تفكير سنوحى فى أن يصرع رامون ويذله ويكسر إرادته حتى لا تقوم له قائمة .

بدأ سنوحى النزول ، ورجاله معه يصوبون السهام نحو رجال رامون

عندما وصل سنوحى إلى السفح مع رجاله .

صوب الأعراب السهام نحو رجال رامون ، وطلبوا منهم أن يلقوا بخناجرهم وإلا قتلوهم .

استسلم رجال رامون

سأل سنوحى رامون : هل تبارزنى بالسيف ؟

– لا أعرف المبارزة وليس معى سيفا

– أعطيك سيفا

– لا .. أحاربك بالخنجر .

– ما رأيك لو تصارعني بدون أسلحة ؟

فرح رامون ، وقال: هيا لأدق عظامك .

وقف رامون فى هالة من لهيب التحدى والغضب فى مواجهة سنوحى .

تشكل الرجال فى هيئة دائرة حول الرجلين .

سنوحى فحص رامون ، فرأى بطنه منتفخة ومتهدلة كما وجده ممتلئا بطيء الحركة .

رأى سنوحى أن يستفيد من ذلك ، فوجه لكمة قوية إلى بطن رامون الذى صرخ ألماً ، وتقوس على نفسه بسرعة

دار سنوحى حوله ، وضربه فى مؤخرة عنقه .

شعر رامون بالدوار ، وهو يخور كالثور الهائج .

ذهلت سوترا من قدرات سنوحى القتالية .

www.alkottob.com

وهتفت معجبة : لا ترحمه يا مصرى .

كما ذهل رجال رامون ، وهم يرونه يصرخ ويتألم ، والمصرى يكيل له الضربات الموجعة .

صفق الأطفال للمصرى ، وتصايحوا مشجعين له ، وساخرين من رامون .

تملك الغضب رامون ، وقذف بجسمه الثقيل على سنوحى فأوقعه أرضاً ، وسقط عليه ضاغطا ، وأطبق بيديه على رقبة سنوحى مدفوعا بحقد نارى .

صفق رجال رامون ، وضحكوا طرباً .

وجم الأعراب ، وأغمضت سوترا عينيها ، واضطرب قلبها ، امتلأت سوترا بمشاعر الشفقة والخوف على سنوحى .

فاض قلبها بالمشاعر الدافئة نحو سنوحى ، وأدركت أنها غارقة فى حبه .

وجّه سنوحى قبضته نحو أنف رامون .

صاح رامون ألما ووضع يده على أنفه .

بكفيه وفى وقت واحد ، صك سنوحى أذنى رامون.

وضع رامون يديه على أذنيه ، وهو يبكى ألما .

ركله سنوحى بقوة ، وألقاه أرضا .

أنهضه سنوحى ، وكال اللكمات القوية إلى بطنه ثم إلى فكه فصرعه .

صاح الأعراب : اقتله .. اقتله .

وضع سنوحى قدمه على صدر رامون ، وصاح فى رجال رامون متحديا : هل يرغب أحدكم فى القتال ؟

نكس رجال رامون رؤوسهم .

صاح سنوحى فى الجميع : من الآن سنفرض قانون الحق على

الجميع ، ولن نسمح لقوى أن يعتدى على ضعيف ، وسيكون الشيخ عمونتشى قاضيا ليفصل بين المتنازعين .

قال أحد رجال رامون بصوت ضعيف : ماذا نفعل نحن وليس لدينا أى مورد للرزق ؟

سنوحى : سنخلق جميعنا مواردا للرزق فنحفر الآبار ، ونستخدم الشادوف فى رفع المياه ، ورى الأراضى ، وزراعة المحاصيل ، ونتبادل التجارة مع مصر وفلسطين

صرخة رهيبة أوقفت سنوحى عن الكلام .

نظر الجميع نحو مصدرها ، فوجدوا رامون قد طعن قلبه بخنجره لأنه لم يستطع تحمل الهزيمة والإذلال .

★★★

١١ - زواج سنوحى

فى الليل ، وقد ساد السكون ، وتغنى الكون بلغته المجهولة تعلقت نظرات سنوحى بالنجوم ، دائما ينظر لأعلى كأنه يأمل فى رؤية الآلهة تسرى بين النجوم بمراكبها الذهبية ، ويسمع التراتيل المقدسة تمجيدا لها .

وتظهر له تيكاهيت فى ثوب أبيض هفهاف تقدم له أزهار اللوتس .

آه يا حبيبة القلب ، باعدت الأيام بيننا ، كم فيضان مر وأنا بعيد عنك .

كم فيضان مر لم أحتفل به ، وأيضا لم أحتفل بعيد حصاد ، ولم أذهب إلى المعبد لتقديم القرابين للآلهة ، وأطلب الرحمة لأبى ولأمى .

www.alkottob.com

اختلط حب مصر بحب تيكاهيت فى قلب سنوحى ، ففاضت عيناه بالدمع ، وفاض قلبه بالشجن ، فأخذ يكتب على الرمال قصيدة حب لتيكاهيت ، وهو جالس أمام كوخه يكتب ويترنم بالشعر ، وهو يذوب شـــوقا وحنينا فلم يشعر بالخطوات المتجهة إليه.

– تكتب نفس القصيدة؟

رفع رأسه فرأى سوترا تسيل عيناها بنظرة حالمة : هتف بدون وعى : تيكاهيت ؟!

لم تعرف سوترا ما يقول فأجابته : أنا سوترا يا حبيب القلب طرب لسماع كلماتها ، وشعر بحنان رائق شديد التخدير ينفثه قلبه، فيخدر جسمه كله .

جلست سوترا بجانبه ، وهى تذوب حباً .

قالت له هامسة : أرجوك يا حبيبى ترنم بهذا الشعر الذى كتبته بصوت حالم مرتعش بلوعة الشوق غنى سنوحى قصيدته التى يتذكر فيها حبه مع تيكاهيت .

هامت سوترا فى أودية مسحورة مصنوعة من كلمات القصيدة .

تفجرت فى قلبها كل ينابيع الحب الحبيس المتشوق لرفيق الدرب لتكتمل دورة الحياة الخالدة .

دموع متلألئة هى ذوب عواطف مشاعة لمعت فى عينيها . الدموع أظهرت وجود سوترا فى وعى سنوحى .

فسألها بصوت هامس حنون : أتبكين يا سوترا ؟

– نعم .. يا حبيب القلب

طيفان يظهران على شاشة الذاكرة طيف تيكاهيت البعيد وطيف سوترا القريب .

دارت الأفكار فى رأسه بسرعة ، بعد إعتراف سوترا بحبها

عليه أن يقرر الزواج منها أو ترك المكان والإبتعاد مرة أخرى فى خريطة المنافى .

لمع القرار فى ذهنه ، عليه أنى يتزوج من سوترا ، وإذا جمعته الآلهة بتيكاهيت مرة أخرى يتزوجها .

نظر سنوحى إلى سوترا بود وقال لها : هل تقبلين أن تكونى معى باقى أيامى؟

– أخيـــرا قلتـها .. أقبل .. وأقبل .. فأنت فارس قلبى منذ رأيتك .

★★★

تم زواج سنوحى من سوترا فى إحتفال كبير رقص فيه الشيخ عمونتشى ، وسعادته لاحد لها لأن ابنته لن تتركه ، فهى ستعيش بجانبه ، وستلد له أحفادا من المصرى .. الرجل القوى المحارب والمزارع ، والذى يبشر بالعدل وينشر الحب بين الجميع .

١٢ - مركبة الزمن

حـرص سنوحى على أن يبني بيـتـا على الطراز المصـرى ، مستخدما الحجر بدلاً من «الطوب اللبن» كما حرص علي بناء معبد صغير خلف بيته ليتعبد فيه ، ويقدم الشكر للإله آمون على أن منحه أرضا جديدة ، وزوجة مخلصة حريصة على أن تشيع السكون والراحة فى البيت ، وتحبه بعمق ، ونظراتها دائما تفيض بالطاعة والعذوبة .

www.alkottob.com

حرص سنوحى أن يرتقي بالقبيلة ، وتعليمهم الزراعة وأعمال الحدادة ، وتنظيم سوقا كبيرا لهم قصدته باقي القبائل وتدريبهم علي القتال المنظم ، مع حرصه على تكوين جيش منهم لمحاربة أي قبيلة تفكر في الإعتداء عليهم .

كما سير قوافل تجارية إلي فلسطين ومصر .

كل هذه الأعمال أهلته لإمارة القبيلة خاصة بعد موت الشيخ عمو نتشي ، وهو راضي مطمئن النفس لمستقبل ابنته مع هذا المصرى .

ابتسم سنوحى ، وهو يتذكر اللحظات الأخيرة للشيخ عمونتشى فى فراش الموت .

كان سنوحى يجلس بالقرب من الشيخ الذى قال له :

– قل لى يا بنى ، هل حقيقة هناك حياة أخرى ؟

– طبعا الآلهة والنجوم وشروق الشمس وغروبها ، ونزول المطر ، والأحلام .

كل هذا يؤكد لنا الحياة الأخرى .

أشرق وجه عمونتشى وجاهد كثيرا ليتكلم بوضوح قائلا :

– وهل ستنتظرنى أم سوترا هناك ، وهى تحبنى وأنا أحبها ، وأؤكد لك ذلك .

ابتسامة صافية شاعت فى وجه سنوحى ، وقال :

– ستنعمان بحياة أبدية صافية خالية من الهموم .

صمت عمونتشي وقتها كثيرا ، ثم طلب من سنوحى أن يقترب أكثر لكى يسمعه .

اقترب سنوحى من الرجل الذى أكرمه .

عمونتشى : قل لى يا بنى .. هل أنت صياد أم أمير ؟

نظر سنوحى حوله ، فطلب عمونتشى إنصراف الجميع .

قال سنوحى له : أنا قائد عسكرى فى جيش فرعون مصر ، وكنت صديقا للأمير سنوسرت الذى أصبح ملكا الآن ، وأبى كان طبيبا للملك امنمحات الأول والد سنوسرت .

ابتسم عمونتشى وقتها قائلاً : كنت أعرف أنك من أصل ليبى، فالأفعال تدل على صاحبها ، لكن لماذا هربت ؟

– أتهمت ظلما بالاشتراك فى مؤامرة لقتل سنوسرت .

– وهل اشتركت فعلاً ؟

– لا .. كيف اقتله ؟ وهو صديقى ، وقائدى .

– لماذا لم تخبره بذلك ؟!

– خفت وهربت .

– هذا من حسن حظنا ، وحسن حظى أنا بالخصوص .

بعدها مات عمونتشى ، وقد أوصى بتأمير المصرى على القبيلة ، ورحب رجال القبيلة بذلك .

★★★

انسابت عربة الزمن بسنوحى مكللة بالنجاح والتفوق والرزق الوفير .

أهدته زوجته سوترا ابنة جميلة أطلق عليها اسم تيكاهيت ، وقتها ضحكت زوجته لتخفى ضيقها من إختياره وسألته : لماذا لا تخبرنى شيئا عن تيكاهيت ؟

www.alkottob.com

– إنها قصيدة شعر

– أسألك عن صاحبة القصيدة .

صمت سنوحى ، وحلّق مع الذكريات ، ومهاد الصبا والطفولة ومراعى الحب والآمال .

فاض قلبه بمشاعر الحنين ، وشعر برعشات حب صافية تهز جسده طربا .

هز رأسه ، وقال : إنه ماضى يا سوترا .

– حدثنى عنه

– أنت لك الحاضر ، فلا تكدرى أيامك بسحب الأوهام والشكوك .

– أنت شاعر ، ولا أستطيع أن أصيغ الكلمات مثلك ، وأنا قانعة بك وبابنتي .

وانصرفت حزينة .

مرت سبع سنوات .. ولدت سوترا ولدين لكنهما رحلا فى قارب إيزيس خلف الأفق .

دفنهما فى مقبرة شيدها بجانب المعبد ، وحرص على تحنيطهما ووضع معهما أشياءهما ، واللعب التى صنعها لهما ، وبعض الطعام والملابس .

★★★

موت سوترا

دائما لا نعرف قيمة الشيء إلا بعد فقده .

تحوتى

إله العلم والحكمة ومخترع اللغة الهيروغليفية وواضع القوانين ، وكاتب سيئات الموتى وحسناتهم يوم الحساب ويرمز له بطائر أبو منجل (الذى انقرض الآن)

تحوتى

سشات

إلهة الحكمة والحافظة للأوراق والخطوط المقدسة ،والرسم والتواريخ والكتابة لعمر الانسان المحدد له على أوراق الشجر

سشات

www.alkottob.com

إجتاح الحزن سنوحى ، وهو يقف عاجزا أمام آلام سوترا ، فهى فى طريقها لوضع طفل آخر له ، لكنها تتألم وتصرخ ، والإصفرار يكسو وجهها كأنها ورقة ذابلة فى فصل الخريف .

شعر سنوحى أنه مهدد بفقد سوترا فانهارت كل سدود التحفظ وتفجرت ينابيع الحب والحنان والشفقة فى قلبه .

ترك نساء القبيلة تعالج سوترا ، وذهب هو إلى المعبد الصغير الذى شيده ، وسكب خوفه وحزنه أمام الإله آمون ، ووعد بتقديم أوزة قربانا له لو ساعد زوجته حبيبته سوترا .

كانت تيكاهيت الصغيرة الجميلة تردد ما يقول أمام المعبد سمعت أباها يشيد بأفضال أمها سوترا وبأخلاقها الطيبة وقلبها العطوف.

رأت الدموع تفيض من عينيه ، وهو يتحدث للإله عن سوترا ، ويطلب الرحمة والشفاء لها .

انسحبت تيكاهيت الصغيرة من جانب أبيها ، وجريت إلى أمها حاولت النساء منعها ، لكن سوترا أشارت إليهن لتركها ، فهى تريد أن تضمها .

قالت تيكاهيت لأمها ، وكأنها تزف لها بشرى :

– أبى يطلب من الإله أن يشفيك

– ماذا قال ؟

– قال إنى أحب سوترا الجميلة ، وليس لى غيرها .

ابتسمت سوترا ، ولمعت عيناها بالفرح ، وسألت ابنتها وهى تقبلها : هل قال ذلك حقا ؟!

– نعم

أشارت سوترا لامرأة ، وطلبت منها استدعاء سنوحى .

ابتسمت سوترا عندما رأت زوجها ابتسامة تستقطر السعادة من بين آلام المعاناة .

ابتسم سنوحى إبتسامة شاحبة إنتزعها من بين دموعه .

سألته سوترا ، وهى سعيدة : هل تبكى يا حبيبى ؟

– نعم يا رفيقة دربى ، وطلبت من الإله أن يترفق بك

قالت ووجهها يتألق بفرحة نورانية : لقد ترفق بى كثيرا ثم صمتت سوترا .

إنطفأت شعلتها ، وتركت سنوحى للأحزان.

★★★

١٣ - بنتاحور

مرت فصول الفيضان – و(الإنحسار وبذر الحبوب) – والحصاد (١) عدة مرات .

كان سنوحى يحسب بداية فصل الفيضان بظهور النجم الأبرق . بالرغم من مرور السنين مازال سنوحى يحسب الأيام متشوقا للعودة، ومازال يناجى طيف تيكاهيت عندما يخلد للنوم

(١) فصول السنة قديمة ٣ – (الفيضان – الإنحسار وبذر الحبوب الحصاد).

www.alkottob.com

ذكرياته الجميلة ينثرها دائما أمام ابنته تيكاهيت .

يرحل مع ابنته عبر الخيال إلى أرض النيل ، ويحكى لتيكاهيت الصغيرة عن المصريين وعاداتهم وتقاليدهم واحتفالاتهم ومعابدهم وآلهتهم وقبورهم والحياة الأخرى .

فى محاولة دؤوبة من سنوحى لغرس جذور إبنته فى أرض أجداده .

لكنه مازال مستمرا فى تعليم البدو ما يعرفه من فنون الزراعة والتجارة والصناعة والبناء والقتال ، كان رسولا للحضارة المصرية إليهم .

أثناء السمر فى ضوء آمون قال أحد الرجال .

– يا مصرى أنت محتاج لامرأة ترعى شئونك وشئون ابنتك

أجابه سنوحى : ليس فى قلبى مكان لامرأة جديدة .

– يكفى أن تحسن معاملتها .

– ابنتى هى كل حياتى ، وأشكرك على النصيحة.

رأى سنوحى أن يبنى مدرسة يعلم فيها الأطفال مع ابنته نهارا ، ويعلم الكبار ليلا علي ضوء المشاعل .

في أثناء وجوده فى المدرسة جاءه أحد البدو طالبا منه أن يخرج معه لأمر هام .

قال البدوى : وصلتنا نذر من رجالنا المنتشرين فى الصحراء بتقديم جيش نحونا .

– من أى إتجاه ؟ هل من إتجاه مصر أم من إتجاه فلسطين .

– مصر .

– هل هناك سبب لقدوم هذا الجيش ؟

– نعم حدث اعتراض لإحدي قوافلهم .

شعر سنوحى أن الموقف هام وخطير ، فجمع القبائل للتشاور

فى الإجتماع ، قال سنوحى : إن موقفه محرج فهو لن يحارب معهم ضد بلده ، وأيضا لا يقبل أن يهزموا . وسينفذ خطة حربية معهم لتجنب القتال .

وافق البدو على خطة سنوحى

فقسمهم سنوحى إلى فصائل ، وحدد المكان لملاقاة الجيش ، كان المكان واديا ضيقا أشبه بالممر بين سلسلة طويلة وعالية من الجبال ، لابد أن يمر منها الجيش المصرى .

وضع قاذفى السهام فوق الجبال ثم قسم رماة الرماح إلى ثلاثة صفوف .

وبعدهم حملة السيوف والهراوات .

وقف سنوحى فوق ربوة ليقوم بدوره ، وأمر جنود البدو أن يلزموا أماكنهم ولا يقومون بأى هجوم إلا بأمره .

ظهرت مقدمة الجيش المصرى ، رأى قائد الجيش صفوف رماة الرماح ، وحملة السيوف ، ورأى قاذفى السهام فوق الجبال فقال القائد لمستشاريه : إنه جيش منظم ، كيف أتقن البدو هذا الأمر ؟!

www.alkottob.com

نظر سنوحى طويلا إلى قائد الجيش المصرى ، وتقدم سنوحى إلى المقائد ، وصاح فرحاً ، الأمير بنتاحور ؟!

التفت بنتاحور إلى هذا العربى بلحيته الكثة ، وعباءته الصوفية ، وحماره الهزيل ، وتساءل :

– هل تعرفنى يا رجل ؟!

صاح سنوحى بقوة : أنا سنوحى أيها الأمير

– سنوحى ؟!

– نعم صديقك سنوحى أيها القائد .

تقدم بنتاحور بعربته الحربية ، وتفرس فى وجه سنوحى ثم قفز الأمير من العربة ، وحضنه وهو يصيح فرحاً

– سنوحى القائد ؟!

– أنت القائد يا أميرى .

– ماذا أتى بك إلى هنا ؟! وكيف تخون بلادك ؟! وتخون الملك سنوسرت ؟!

– أنا لم أخن أحداً يا أميرى ، وأفدى بلادى بحياتى ، وسأحكى لك قصتى بأمانة .

أشار بنتاحور إلى جيش البدو ، وقال مبتسما : أنت طبعا الذى نظمت هذا الجيش ، لم تنس عملك يا سنوحى ،

هيا اصرف جيشك ، واحكى لى قصتك كاملة .

طلب سنوحى من القبائل أن تقيم الولائم للأمير ورجال الجيش المصرى .

استمع الأمير بنتاحور إلى حكاية سنوحى ، وحكاية المؤامرة التى كانت تدبرها الأميرة آزيت أم بنتاحور ، ورفض سنوحى للقيام بدوره ، وهروبه خوفا من الملك سنوسرت .

هز الأمير بنتاحور رأسه قائلا بأسف : إنها ذكريات قديمة وأليمة والأميرة آزيت انتقلت للحياة الأخرى .

والملك سنوسرت أخى ومليكى عفا عنى وعن الأميرة آزيت .

تطلع سنوحى إلى بنتاحور برجاء قائلاً : الباقى أن يصفح الملك المعظم عنى .

– أنت قائد شجاع يا سنوحى ، وصديق مخلص ، وسأطلب من أخى الملك أن يعفو عنك ، ويشملك برعايته .

ولذلك أكتب طلباً بذلك يا سنوحى .

على ورقة بردى قدمها الأمير بنتاحور إلى سنوحى .

بقلم من البوص ؟ وحبر مصنوع من النيلة ، كتب سنوحى يقول (أيها الإله العظيم يا من أمرتنى بالهروب وحميتنى بالغربة ، كن رحيما ، وأعدنى ثانية إلى مقر الملك لأرى المكان الذى يسكن فيه قلبى ، وأن تدفن جثتى فى الأرض التى ولدت فيها ، وخرجت منها ، وبقرب من أحببت (١) .

حدث إجتماع بين الأمير بنتاحور ، وشيوخ قبائل البدو فى وجود سنوحى .

تعهدت القبائل فيها بعدم التعرض لقوافل التجارة المصرية أو الهجوم على الحدود .

(١) نص موجود فى متحف برلين.

www.alkottob.com

كما تعهد الأمير بنتاحور بإرسال المساعدات الإقتصادية لهم ، وكل ما يساعد على رخائهم .

★★★

عاد الجيش المصرى ومعه سنوحى وابنته تيكاهيت بعد وداع حافل مليء بالعواطف الدافئة نحو سنوحى المصرى .

★★★

استقبل الملك سنوسرت القائد سنوحى بعد أن منحه العفو ، وعرف دوره الحقيقى .

رحب الملك به ، وعينه قائدا مسئولا عن شئون البدو ، وخصص له قصرا جميلا على شاطيء النيل .

ذهب سنوحي مع ابنته تيكاهيت إلي المعبد لتقديم قربانا للآلهة إعترافا بفضلها لإعادته إلى وطنه ، ورعايتها له فى غربته .

ذهب سنوحى إلى الباعة الجالسين أمام المعبد لشراء كتاب الموتى ، وانشغلت ابنته تيكاهيت فى شراء تمثال صغير للإله آمون .

عندما عاد سنوحى وجد ابنته تقف مع صبي يكبرها بعامين صاحت تيكاهيت فرحة : أبي .. هذا الولد اسمه سنوحى مثل اسمك .

ضحك سنوحى ، واقترب من الصبى وسأله : هل اسمك سنوحى حقا ؟!

– أنا لا أكذب يا سيدى .

أعجب سنوحى بإجابة الصبى ، وثقته فى نفسه ، ابتسم له

واقترب منه ليقبله ، فرأى عينين جميلتين تذكرانه بأيام ملونة بالفرح والحب .

– سنوحى

صوت من الماضى ينادى الصبى

التفت سنوحى ليتأكد من أنه لا يعيش وهماً

هتف : تيكاهيت ؟!

– سنوحى ؟!

اقترب الاثنان غير مصدقين

قالت تيكاهيت ودموعها تصبغ كلماتها بالشوق والحنين

– قالوا إن الذئاب أكلتك.

عرف سنوحى من تيكاهيت أنها تزوجت من بازى ، وأنجبت منه ولدا أطلقت عليه اسم سنوحى .

ابتسم سنوحى قائلا : وابنتى اسمها تيكاهيت .

عرف سنوحى أن بازى أهمل زوجته ، وتزوج بأخرى وقتل فى إحدى الغزوات :

وعاشت تيكاهيت لتربية ابنها الوحيد سنوحى

قال سنوحى : وأنا عشت لتربية ابنتى تيكاهيت .

★★★

تزوج سنوحى من تيكاهيت ، وأدرك أن حتحور آلهة الحب والجمال قد ادخرتها له ليعيشا معا .

أياما سعيدة ممتلئة بالحب والآمال .

★★★

انتهت والحمد لله

على ماهر عيد

www.alkottob.com

سلسلة تاريخ مصر

الرعاة

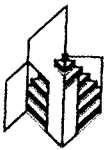

المـيئة
العـامة
لقـصور
الثقافة

وزارة الثقافة
المجلس الأعلى للآثار

وزارة الثقافة
صندوق
التنمية
الثقافية

صرت

www.alkottob.com

صدر من هذه السلسلة

- روايات تاريخ الإسلام (٢٥ جزء)

- سلسلة تاريخ مصر:

١ - مينا .. أمير الحياة
٢ - خونانوب .. الفلاح الفصيح
٣ - أوسركاف .. بردية الخلود
٤ - سنوحى .. الهارب النبيل

رقم الايداع
٢٠٠٦/٢٤٨٣٤
I.S.BN
977-07-1230-2

www.alkottob.com